عندما ترعى الذئاب الغنم

الجزء الأول

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ..
فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

لمعالجة قضية الشيطان ثلاث فوائد أساسية: شرعية ونفسية وحركية.

الفائدة الشرعية: هي حماية القضية من طابع الخرافة والشعوذة، لتبرز كقضية واقعية علمية محددة وثابتة بنصوص الكتاب والسنة، بحيث ينضبط التصور الغيبي عنها .. بالتأصيل الشرعي لها.

والفائدة النفسية: هي معالجة الشعور الإسلامي المتجه دائمًا نحو باطن الجاهلية، لكشف أسراره المجهولة، ومعرفة علله الخفية، كمحاولة لتفسير ظواهرها.

ولعل ظاهرة الوحدة الجاهلية على المستوى العالمي هي الظاهرة التي استحوذت على هذه المحاولة الشعورية ..

ولذلك تعاملت الجاهلية مع الشعور الإسلامي تعاملاً خطيرًا، فقدمت بنفسها تفسيرًا لهذه الظاهرة، وجوابًا لهذه التساؤلات: مَن الذي يحكم العالم ..؟ وكيف ..؟!

ومكمن الخُبث في هذه التفسيرات[1]: أنها وضعت أمام الشعور الإسلامي أهدافًا وهمية، وغرست الإحساس بالسيطرة الجاهلية على العالم، وذلك في غيبة الإحساس بإحاطة الله لجميع خلقه ..

فانطبع في الأذهان أنه ليس هناك شيء في حياتنا إلا وقد أخذ وضعه ضمن المخطط المرسوم للعالم، ونشأ إحساس بالتضاؤل أمام الجاهلية كمخطط لا يمكن مواجهته .. بل ولا معرفة غموضه!

ومن هنا فإن معالجة قضية الشيطان كتفسير شرعي لباطن الجاهلية وظواهرها، هي الغذاء الصحيح للشعور الإسلامي المتلهف نحو كشف هذا الغموض، كذلك فإن هذه المعالجة ستكون حرزًا حقيقيًا من إحساس التضاؤل الناشئ عن هذا الغموض.

(١) وأشهر هذه التفسيرات: هي فكرة الحكومة العالمية السرية التي يحكم بها اليهود العالم عن طريق المجامع الماسونية المنتشرة في كل أنحائه.

والفائدة الحركية: تبدأ بتقرير أن الاستضعاف هو المرحلة التي تعيشها الجماعة المسلمة، وأن هذا التقرير يقتضي ارتباط الفكر الإسلامي بالمرحلة التي تعيشها الجماعة ..

والارتباط بين الفكر والمرحلة ليس مجرد التركيز على القضايا المكية التي عايشتها الدعوة قبل التمكين، ولكنه يكون بتصور كل قضايا الإسلام من خلال التحديد المرحلي لمنهج الدعوة، وذلك باعتبار أن هذا التحديد هو الإطار الأساسي لفكر مرحلة الاستضعاف، الذي يعالج آثارها ويحقق الخلاص منها.

وفي هذا الارتباط.. حياة للقضايا، وصواب للمنهج.

وقضية الشيطان دليل على حتمية هذا الارتباط ..

فعندما خرجت هذه القضية من إطار التحديد المنهجي للدعوة، تضاءلت وصارت محدودة بغرض التحرز الفردي منه ..

وكذلك عندما افتقدت مهمة التحديد المنهجي للدعوة هذه القضية، ضَعُفَ التصور الاعتقادي للعوامل الغيبية المؤثرة بصورة مضادة على واقع الحركة الإسلامية.

وارتباط قضية الشيطان بمنهج الدعوة يعني توجيهها توجيهًا حركيًا، تتحدد به مفاهيم فكرية وأساليب عملية في واقع الحركة الإسلامية، وذلك بتأصيل شرعي، تأخذ به هذه المفاهيم وتلك الأساليب الصفة الشرعية لمنهج الدعوة.

مُقَدِّمَة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه .. وبعد،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

بينما راعٍ في غنمه .. عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت الذئبُ فقال: من لها يوم السَّبُعِ (الافتراس) يوم ليس لها راعٍ غيري ..؟!

قالوا: سبحان الله أذئبٌ يتكلم ؟! فقال ﷺ: آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر)[1].

الحقيقة إما أن تكون فكرة نظرية تنبع بالتفكير من العقل ..

أو فكرة واقعية تنبع بالتفكير من الواقع ..

أما الحقيقة التي يتضمنها هذا الحديث؛ فهي نقل لكلام تكلم به الواقع نفسه، ولهذا يبلغ النص مبلغ الصدق المطلق في التبليغ، والصواب الكامل في المعنى ..

لأنه (وحي) ينقل (واقعًا يتكلم)..

ذئب يتكلم - بقدر الله - مع الإنسان وبلغته، ليتعلم الإنسان حقيقة يريد الله له أن يعلمها، فلابد أن يكون لها في حياته قيمة ..

لا تقل عن قيمة الخارقة الكونية التي أنطقت الذئب بقدر الله ..

وقيمة الإنسان التي أضاف الله – بقدره – هذه الحقيقة إلى علمه، وتلك الخارقة إلى واقعه ..

وقيمة الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ بالحق لنتعلم ونتربى ..

والصلة بين المعنى الذي تضمنه الموقف الذي تكلم فيه الذئب وبين الواقع الإنساني هي: أن هذا الموقف صورة لهذا الواقع في وضعه الجاهلي ، نرى فيها الذئب هو الشيطان في الواقع، ونرى الغنم فيها هم الناس.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧/٤٢) ومسلم رقم (٢٣٨٨) عن أبي هريرة.

وفهم هذه الصلة يرجع أساسًا إلى الربط بين الذئب والشيطان، وبين الغنم والإنسان، في أحاديث رسول الله ﷺ مثل قوله: (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية)[1].

وقوله: (إنما يأخذ الذئب من الغنم: الشاة القاصية)[2] ..

ومعناه: إنما يأخذ الشيطان من الناس البعيد عن الجماعة. وعلى هذا يكون فهم الموقف والصلة التي بينه وبين الواقع الإنساني فهمًا طبيعيًا وصحيحًا.

وباكتشاف معنى الموقف الذي تكلم فيه الذئب ندرك قيمة الأسلوب الذي عرض به النبي ﷺ هذا المعنى، حيث أعطانا هذا الأسلوب واقعية تامة في تصورنا وإحساسنا عن الشيطان، كما أنه حدد من خلال هذا الأسلوب وبتلك الواقعية موقع الشيطان في الواقع البشري.

وذلك حتى يحذره كل مسلم بواقعية تامة، وينتبه إلى أنه يحتل موقع السلطة ومكان الراعي في هذا الواقع ..

فيتحدد بذلك تصور المسلم لأي سلطة جاهلية على أنها ولاية شيطانية ..

يجلس الحاكم فيها على كرسي، صَنَعَه مَن صنع لإبليس كرسيًا فوق الماء .. ليجلس عليه ويبعث سراياه، فيفترس الإيمان في كل قلب، وينهش الفطرة في كل جسد ..

تمامًا مثلما يحدث .. عندما ترعى الذئاب الغنم.

رفاعي سرور

(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)

---

(١) أخرجه احمد في المسند(٥/٢٤٣) ، وقال الحافظ العراقي: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا «تخريج الإحياء» (٦/١٠٤٣)، وكذا قال الهيثمي في المجمع(٥/٢١٩)، لكن يشهد له الحديث الذي بعده، ومعنى الناحية: التي تَنَحّت عن بقية القطيع.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٢/٢٥٠) والنسائي (٢/١٠٦) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضى الله عنهم.

الفصل الأول

صورة قتالية

نعلم أن العداء هو العلاقة بيننا وبين الشيطان .. والحرب نتيجة طبيعية لكل عداء .. فإذا تأكد شعورنا بالحرب القائمة بيننا وبين الشيطان، فإن هذا بالطبع سيعمق إحساسنا بقيام هذا العداء.

ولكي لا يكون شعورنا بتلك الحرب ضعيفًا أو سطحيًا، فإننا سنبدأ بصورة قتالية لتلك العلاقة، لأن القتال فيه من الضراوة والعنف ما يعمق الإحساس بتلك الحرب في ضمير المسلم، وبهذا نعطي للعداء والحرب بيننا وبين الشيطان إحساس اليقظة والانتباه والحذر.

وإذا أخذت الحرب التي بيننا وبين الشيطان هذه الصورة القتالية، رأيناها أمامنا حقيقة .. لها كل صفات ووسائل وتقاليد الحرب المعروفة لنا في واقعنا البشري ..

فالشياطين: هم «جنود» إبليس .. سواء كانوا من الجن أو الإنس، والله سبحانه يقول: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) (الشعراء: ٩٤،٩٥).

والعلاقة بين إبليس وجنوده: علاقة ولاء وطاعة، وهما أول الضرورات التنظيمية في أي حرب، والله تعالى يقول: (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء:٧٦).

وبهذا الولاء تكون الحزبية: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المجادلة: ١٩).

وحينما ينطلق هؤلاء الجنود لإضلال الناس .. يخرجون في سرايا بدليل قول رسول الله ﷺ: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ .. ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً)[1].

---

(١) أخرجه مسلم في باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة النّاس (٢٨١٣).

ولعلنا نلاحظ أن كون العرش فوق الماء تحقيق لأهم تقاليد الحروب، وهي إنشاء مركز القيادة بعيدًا عن واقع القتال، ليتحقق لهذه القيادة التركيز والنظرة الشاملة.

ولهؤلاء الجنود «الخيل» وهي أداة أساسية في الحروب وفي هذا يقول الله سبحانه: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) (الإسراء: ٦٤).

وفي هذه الحرب: «السهام» .. وهي كذلك أهم أداة الحروب، والنبي ﷺ يقول: (النظرة سهم من سهام إبليس يصيب بها قلب المؤمن)[١].

ولعلنا نلاحظ أن هذه السهام تصيب .. وأن إصابتها قاتلة، لأنها تصيب القلوب، ولأنها بتوجيه القائد نفسه إذ أن الرسول ﷺ أضاف السهام إلى إبليس نفسه فقال: (من سهام إبليس).

وفي هذه الحرب تقاليد النصر والهزيمة، فكما أن المنتصرين في الحرب يرفعون راية النصر .. فإننا نجد ذلك في حرب الشياطين، إذ يقول الرسول ﷺ: (ما من خارج يخرج من بيته إلا ببابه رايتان، راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عز وجل اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته)[٢]. وقوله: (من غدا إلى صلاة الصبح غدا براية الإيمان، ومن غدا إلى السوق غدا براية إبليس)[٣].

وكما تُرفَع الراية في موقع الانتصار .. فإنها تبقى مرفوعة في مواقع الاحتلال المستمر، فيقول النبي ﷺ: (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق .. ولا آخر من يخرج منها .. فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته)[٤].

فدل ذلك على أن السوق موقع إحتلال الشيطان، ولذلك يقول النبي ﷺ في حديث آخر: (أشر الأماكن الأسواق)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٦٤) من حديث أبي أمامة، والحاكم(٤/٣١٤)، وفي سنده مقال.
(٢) حسن قريب منه: أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٢٣).
(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٢٣٤) من حديث سلمان الفارسي رضى الله عنه، وسنده ضعيف.
(٤) رواه مسلم رقم (٢٤٥١) من حديث سلمان رضي الله عنه.
(٥) أخرجه مسلم رقم(٦٧١) بلفظ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

وفي هذه الحرب: «العنف والشدة» .. والله سبحانه يقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[1] (مريم: ٨٣).

وفي هذه الحرب: «التربص والترصد» .. لقول النبي ﷺ:(إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه)[2].

ثم يكون «الحصار» بعد الترصد .. بدليل الآية:(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧،١٦).

وفي هذه الحرب: «الشراك» بدليل قول رسول الله ﷺ: (أعوذ بك من شر نفسي .. وشر الشيطان وشركه[3])[4].

وفي هذه الحرب: «الحراسة المشددة» .. وهذا ما واجهته الشياطين لما صعدت إلى السماء لاستراق السمع فقالوا: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) (الجن: ٩،٨). فلا تكون هناك ثغرة من خلال فراغ لأنها (مُلئت)، ولا من حارس ضعيف لأنها (مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا)، بل إن مجرد الاقتراب من السماء من أي جانب أصبح أمرًا مستحيلاً لأنهم:(لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ) (الصافات: ٨).

ولكن الشياطين في تلك الحرب لا تيأس، بل هي تواجه هذا الموقف الخطير بالأسلوب الانتحاري الذي يقدم به الفرد على مهمة معروفة النتيجة، فيقول النبي ﷺ في الشياطين التي تسترق السمع: (ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق الآخر- ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض- فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه)[5].

---

(١) والأز: هو الحركة العنيفة للماء عند الغليان.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٠٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) بفتح الشين والراء في رواية، وفي أخرى بكسر فسكون.

(٤) أخرجه أحمد(١/٩)، وأبو داود(٣/٤٠٦) والترمذي رقم(٣٥٢٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه البخاري(٨/٣٨٠)- الفتح- من حديث أبي هريرة.

وفي هذه الحرب يكون «الأسْر» .. وهذا ما حدث لما قبض الرسول ﷺ على أحد الشياطين الذين تسللوا إلى المدينة فأخذه وأراد أن يربطه في سارية المسجد، كما جاء في مسند أحمد: (أن رسول الله ﷺ صلى صلاة مكتوبة، فضم يده فلما صلى قالوا: يا رسول الله ! أحدث في الصلاة شيء؟ فقال: لا، إلا أن الشيطان أراد أن يمر بين يدي فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي، وأيم الله لولا ما سبقني إليه أخي سليمان[١] لارتبط إلى سارية من سواري المسجد[٢] يطيف به ولدان أهل المدينة)[٣].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول لأبي هريرة عندما أتاه الشيطان وهو يحرس بيت المال: (ماذا فعل أسيرك الليلة؟!)[٤].

ولما حرم الله سبحانه وتعالى على الشياطين التحرك في رمضان، لم يكن ذلك بإلزام شرعي طبعًا، لأن الشياطين لا تخضع لأي إلزام شرعي، وإنما كان بتعجيزهم عن الحركة .. وذلك بأسرهم، كما قال رسول ﷺ: (إذا دخل شهر رمضان .. فتحت أبواب السماء .. وغلقت أبواب جهنم .. وسُلسِلَت الشياطين .. فلا تستطيع أن تصل إلى ما كانت تصل إليه في غيره)[٥]، وفي رواية: (صُفِّدَت الشياطين).

وكما يقع الأسر على الشيطان .. فإنه يقع أيضًا منه على الإنسان، ودليل ذلك حديث عائشة إذ قالت: (حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثًا، فقالت إمرأة منهن: يا رسول الله ! كأن الحديث حديث خرافة ! .. فقال: أتدرون ما خرافة ؟!

إن خرافة كان رجلًا من «عذرة» أسرته الجن في الجاهلية، فمكث فيهم دهرًا طويلًا ثم ردوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب .. فقال الناس:حديث خرافة)[٦].

---

(١) يعني دعاء سليمان: (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي).

(٢) والربط في سارية المسجد كان من تقاليد أسر زعماء الكفار مثلما، أمر رسول الله ﷺ ربط ثمامة بن آثال سيد أهل اليمامة.

(٣) البخاري: (٣/٨٠) من حديث أبي هريرة، وهو في المسند (٥/١٠٤) من حديث جابربن سمرة.

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٤/٤٨٧) عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤/١١٢) ومسلم رقم(١٠٧٩) من حديث أبي هريرة.

(٦) أخرجه أحمد والترمذي، عذرة: قبيلة من قبائل العرب.

وفي هذه الحرب .. فكرة «السحق الشامل»، وفي ذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[1].

وهذا ما ظنه إبليس: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) (سبأ:٢٠) .. ذلك لأن إبليس قال في البداية: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَه) (الإسراء:٦٢)، ومعناها: لأستأصلن.

وفي هذه الحرب أسلوب «الاغتيال» بدليل قول رسول الله ﷺ: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)[2].

وفي ذلك تفسير قول الله على لسان إبليس: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧).

وفي هذه الحرب «الحصون» التي يلجأ إليها الجنود حماية لأنفسهم ..

ففي حديث الأشعري أن النبي ﷺ قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها..) فكان مما قال لهم: (وآمركم أن تذكروا الله .. فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم .. كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله)[3].

وفي هذه الحرب «الجوار» .. وقد أراد الله سبحانه أن يحفظ عبدًا من عباده من ضراوة تلك الحرب فأجاره من الشيطان، بدليل قول أبو الدرداء رضى الله عنه: (ألم يكن فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ - يعني عمار بن ياسر-)[4].

---

(١) مسلم رقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه.

(٢) صحيح: النسائي (٢٨٢/٨)، وأبو داود (١٢/٤١٤)، وابن ماجه (٣٨٧١) والمسند (٢/٢٥) من حديث بن عمر، وسنده صحيح، وأخرجه بن حبان رقم (٣/٩٦١).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي في الأمثال رقم (٢٨٦٣) من حديث الحارث الاشعري وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال الإمام البخاري: الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث.

(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٧/٩٠) من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه.

وإجارة الله سبحانه وتعالى تؤكد شدة الخطر الذي كان يحيط بهذا العبد، حتى اقتضى الأمر هذا الجوار الإلهي. أما الخطر فقد كان وفاة أبيه وأمه شهداء، ونشأته يتيمًا منهما، وافتقاده منذ بداية عمره حرز الوالدين لأبنائهما من الشيطان.

تقييم عام:

بعد تحديد الصورة القتالية للحرب بيننا وبين الشياطين يحسن أن نقيم هذه الحرب لتحقيق مزيد من العمق للإحساس بالعداء بيننا وبين الشيطان ..

ونبدأ حقائق التقييم بالنتيجة النهائية لتلك الحرب لنرى أن خسائر البشر فيها من كل ألف: تسعمائة وتسعة وتسعون !

ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ عن الله عز وجل: (يقول الله لآدم يوم القيامة: يا آدم ! ابعث بعث النار، فيقول: يا رب ! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار .. وواحد في الجنة)[1]، وهذه النتيجة الرهيبة هي تفسير قول الله عز وجل: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام:١٢٨).

وقوله عز وجل على لسان إبليس: (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧)

ومما يزيد هذه النتيجة رهبة هو علمنا بأن هذا الواحد من الألف الذي نجا .. لم تتحقق له النجاة إلا بفضل الله ورحمته بدليل قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور:٢١).

ومن هنا كان من حقائق تقييم هذه الحرب، فرح الله عز وجل بعباده الناجين منها، بدليل قول رسول الله ﷺ: (لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دَوِيَّة- مهلكة- معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع

(١) متفق عليه: البخاري في الرقاق (١١/٣٨٨)، ومسلم رقم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد.

رأسه على ساعده ليموت .. فاستيقظ وعنده راحلته، وعليها زاده طعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)[1].

وفي رواية: فقال من شدة فرحه: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) ..!

هذه هي الحرب، وهذا هو الخطر الذي يفرح الله بالناجين منه .. كما فرح هذا الرجل الذي ضلت ناقته .. بل أشد.

(١) البخاري في الدعوات (١١/١٠٢) ومسلم في التوبة (٢٧٤٤) من حديث أنس.



عمل الشيطان

بعد عرض تلك الصورة القتالية للعلاقة بيننا وبين الشيطان لتعميق الشعور بالحذر منه .. نبدأ في تحديد تلك العلاقة بصفة عملية، لتحقيق المواجهة معه.

ولما كان طرف التأثير في تلك العلاقة هو «**عمل الشيطان**»، كان لا بد من تحليل هذا العمل.

وتحليل عمل الشيطان يعتبر في الأصل مهمة نقلية، ترجع إلى نصوص الكتاب والسنة، والدور العقلي فيها محدود بحدود تلك المهمة، وهذا من الناحية الشرعية.

كما يرجع هذا التحليل من الناحية اللغوية إلى تفسير مادة الشيطان وإبليس.

وهي متفقة تمامًا مع نصوص الكتاب والسنة في تحليل هذا العمل، ولذلك سنجد في التفسير الشرعي كل الحقائق المأخوذة من مادة «شيطان» وهي:

- «**الشطط**»: وهو الغلو والبعد.
- «**والشط**»: وهو التقابل والضد.
- «**شاط**»: وهو الإحتراق والنار.
- «**أشاط**»: وهو الإهلاك والتلف.
- «**شوطًا**»: وهو الإبتعاد.
- «**شطن**»: شيطان على صيغة فيعال.

ومادة إبليس وهي: «**الحزن**» و «**الحيرة**» و «**اليأس**» و «**الندم**».

الإصرار:

وبمجرد البدء في المهمة، تفاجئنا الصفة العامة في عمل الشيطان وهي: صفة الإصرار على تحقيق الهدف ..

وقد ننتبه إلى تلك الصفة من خلال الصيغة العامة للنصوص الواردة في عمل الشيطان ومنها: « لأضلنهم. لأحتنكن. لأقعدن. لأغوينهم » ..

(وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) (النساء: ١١٩).

(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: ١٦).

(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً) (الإسراء: ٦٢).

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص: ٨٢-٨٣).

وهي صيغة الجزم المؤكدة لصفة الإصرار.

ويذكر القرآن إصرار الشيطان، معبرًا عن الهدف بالظن الذي صدَّقه إبليس على البشر بصيغة الحدوث الفعلي وذلك في قول الله: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبأ: ٢٠).

غير أن هذه الصيغة مجرد تنبيه على تلك الصفة، أما الإدراك الكامل لها فإنه يكون بالتتبع الدقيق لأساليب الشيطان، حيث نجد أول دلائل الصفة أن الشيطان لا ييأس من إضلال أحد، وليس أدل على ذلك من أن إبليس قد خصص للنبي ﷺ شيطانًا ولم يستثن النبيَّ ﷺ من تخصيصه شيطانًا لكل إنسان[1].

وهذا معناه أنه ليس عند إبليس حالة ميئوس منها، ولا تجدي معها المحاولة ..!

وبالرجوع إلى أحاديث الرسول ﷺ: (إن لإبليس كرسيًا فوق الماء)[2] نجد عبارة يقولها الشيطان لإبليس وهي: (.. ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته) ..

وواضح فيها أن الشيطان لا يرجع عن هدف الإفساد إلا إذا تحقق !

وقد يخفق الشيطان مع الإنسان في مرحلة من مراحل إضلاله .. ولكنه لا ييأس من مرحلة ثانية وثالثة، ولهذا قعد الشيطان لابن آدم في كل مرحلة من مراحل الإلتزام بهذا الدين، بما قد يجعله يتراجع في أي مرحلة منها، وذلك بإثارة مشاعره نحو **الآباء والأجداد** لجعله يتراجع عن **الإسلام** ..

وإثارة مشاعره نحو **الأرض والوطن** لجعله يتراجع عن **الهجرة** ..

وإثارة مشاعره نحو **الزوجة والمال** لجعله يتراجع عن **الجهاد** ..

---

(١) بدليل قول رسول الله ﷺ:(لكل إنسان قرين من الشياطين..قالوا: حتى أنت يارسول الله؟ قال: نعم، حتى أنا، إلا ان الله أعانني عليه فأسلم) أخرجه مسلم رقم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧/١٥٧) من حديث جابر .

فيقول الرسول ﷺ: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام .. فقال له: أتسلم .. وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فقال: فعصاه فأسلم ..

ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر .. وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَل[1]، قال: فعصاه فهاجر ..

ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: جَهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد ..

قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات .. كان حقًا على الله أن يدخله الجنة)[2].

وقد ييأس الشيطان من تحقيق هدف له بدليل قول رسول الله ﷺ: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم)[3].

وكما وضح في الحديث من لفظ (ولكن) أن الشيطان عندما ييأس فإن يأسه لا يكون كاملاً، إذ أنه أبقى في نفسه أملاً في بقية من هذا الهدف، ليتمكن بها من تحقيق ما يوازي الهدف الميئوس منه. وذلك عندما رضي بالتحريش الذي يعتبر بداية طبيعية للعداء، الذي يعتبر هو الآخر بداية طبيعية للاقتتال .. الذي يكون به الكفر ..![4]

ومن هنا لم يكن قليلاً أن يرضى الشيطان بالتحريش عندما يئس من أن يعبد.

وعندما يرضى الشيطان بالتحريش بديلاً عن الشرك، فإن هذا يجعلنا ننتبه إلى خطورة التحريش فأصل المسألة: أن أمر الله أن نكون أمة واحدة تعبده سبحانه إلهًا واحدًا كما في قوله: (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:٩٢) والشيطان يريد نقض أمر الله .. فلما يئس أن نعبد مع الله إلهًا آخر .. اتجه إلى الأمة الواحدة ليكون التحريش والتنازع.

وهذه هي العلاقة بين الشرك والتحريش: أن أحدهما يغني عن الآخر في نقض أمر الله .. بقيام الأمة الواحدة .. التي تعبد الله وحده.

---

(١) الطول: الحبل الذي يربط به الفرس فلا يمكنه الفكاك.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٦/٢٢/٢١)، وأحمد (٣/٤٨٣) وابن حبان (٧/٥٧)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم(٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) لقول رسول الله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) البخاري (١٢/٨٥)، ومسلم (٦٥).

ولذلك يبين ابن القيم أن الشيطان عندما ييأس من الوصول بالإنسان إلى مرحلة من مراحل الشر فإنه لا ييأس من المرحلة التي بعدها، فيقول: «ولا يمكن حصر أجناس شره فضلاً عن آحادها، إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة أجناس .. لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدًا أو أكثر:

أولها: شر الكفر والشرك .. فإذا نال ذلك، صيره من جنده وعسكره، واستعان به على أمثاله وأشكاله، وصار من دعاة إبليس ونوابه، فإن يئس من ذلك نقله إلى **ثانيها:** مرتبة البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والعصيان، لأن ضررها في الدين نفسه وهو ضرر متعدد، فإن أعجزه عن هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة، نقله إلى **المرتبة الثالثة:** وهي الكبائر .. ولا سيما إذا كان عالمًا متبوعًا، فهو حريص على ذلك لينفر الناس منه ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه .. فإذا عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى **الرابعة:** مرتبة الصغائر .. وهي التي إذا إجتمعت أهلكت صاحبها كما قال النبي ﷺ: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض .. الحديث)[1]، فإن أعجزه العبد عن هذه المرتبة نقله إلى **المرتبة الخامسة:** وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، فإذا أعجزه العبد عن هذه المراتب الخمس سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه بقصد إخماله وإطفائه، ويشوش عليه قلبه ويشغل بالحرب فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به ..

ثم يقول: فتأمل هذا الفصل وتدبر موقعه وعظيم منفعته، واجعله ميزانك تزن به الناس، وتزن به الأعمال، فإنه يطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق، والله المستعان .. وعليه التكلان ..

ولو لم يكن من هذا التعليق إلا هذا الفصل .. لكان نافعًا لمن تدبره ووعاه» أ.هـ.

ومن إصرار الشيطان على الهدف .. نجد الربط بين أساليب الشيطان وهدفه بصورة نهائية، حتى جاءت صيغ الاستعاذة بالله من هذه الأساليب بنفس صيغ الاستعاذة من الشيطان نفسه، ومن ذلك الاستعاذة من الدَّيْن، حيث كان رسول الله ﷺ يُعَلِّم أصحابه بقوله:

(١) حسن: قال الحافظ في الفتح (١١/٣٢٩): أخرجه احمد بسند حسن، وجوده العراقي في تخريج الأحياء.

(اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين .. وأغننا من الفقر)[1].

وذلك باعتبار أن الذنب هو ركيزة الشيطان، وأن الدَّين لا يغفر حتى للشهيد، بدليل قول رسول الله ﷺ:(يغفر للشهيد كلَّ شيء إلا الدين)[2].

ومن إصرار الشيطان على الهدف .. أسلوب (الخطوات) ..

ذلك أن الشيطان يوحي بعمل لا تظهر له نتائج مباشرة، ولكنها تظهر بتتابع وحي الشيطان بعمل آخر، فيظهر في النهاية أن العمل الأول كان خطوة في تحقيق تلك النتائج، ولذلك يقول النبي ﷺ: (يأتي الشيطان إلى أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ ولينته)[3]. وفي رواية: (من خلق السموات ؟ فيقول: الله .. من خلق الأرض؟ فيقول: الله ..).

وواضح من الحديث أنه لم يعرف أنه الشيطان إلا ببلوغه .. (من خلق الله ؟)، ولهذا قال الرسول ﷺ: (فإذا بلغه فليستعذ، ولينته) .. أي بلغ قوله: (من خلق الله ؟). ويقول ابن عباس رضي الله عنه في هذا الأسلوب: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم، عبدت)[4].

ومن هنا جاء التحذير من هذا الأسلوب في قول الله سبحانه: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (النور: ٢١).

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣)، ولكن اللفظ المذكور هنا لفظ الترمذي كتاب الدعوات (٣٤٠٠).
(٢) أخرجه مسلم- أيضاً رقم (١٨٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو.
(٣) متفق عليه: البخاري: (٦/٣٣٦) ومسلم رقم (١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري في التفسير عن ابن عباس موقوفاً (٨/٦٦٧).

التركيز .. عنصر البداية:

ولما كان هدف الشيطان ضخمًا، فقد اقتضى الأمر عنده أن يكون هناك تركيز في أعماله، بحيث يتحقق بأبسط عمل شيطاني أكبر نتائج وآثار ممكنة ..

وأهم صفات التركيز في أعمال الشيطان: صفة الاهتمام بالبداية.

وذلك لأنه في بداية أي أمر .. تحديد لاتجاهه وطبيعته، فالشيطان بإفساده للأمور من بدايتها يفسد استمرارها وغايتها.

وما يؤكد هذه الحقيقة: هو محاولة الشيطان لإفساد حياة الإنسان من خلال أي نقطة بداية فيها، ومن هنا كانت وصايا النبي ﷺ في بدايات الأمور ..

مثل وصيته إلى **الزوج في أول ليلة له** في زواجه بقوله: (إذا تزوج أحدكم إمرأة أو اشترى خادمًا فليقل: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ماجبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه)[1].

وفي رواية: (ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة .. في المرأة والخادم)، وذلك باعتبا ـ أن اول ليلة هي بداية الحياة الزوجية.

ووصيته إلى الزوج عند الجماع بقوله: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فَقُضِيَ بينهما ولد لم يقربه الشيطان)[2] .. وذلك باعتبار أن الجماع هو بداية الخلق إذا قدره الله.

وسنته ﷺ بالأذان في أذن المولود عند ولادته، فقد: (أذَّن في أُذُن الحسن بن عليّ – حين ولدته فاطمة رضي الله عنها– بالصلاة)[3]، وذلك باعتبار أن الميلاد بداية ثانية لمرحلة جديدة من مراحل الخلق.

ولهذا يمس الشيطان كل مولود عند ولادته ليتحقق له بهذا المس كسب عمر الإنسان كله والتأثير فيه ..

يقول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم:

(١) حسن أخرجه أبو داود (٦/١٩٦) عون المعبود– والنسائي في اليوم والليلة رقم (٢٤٠) (٢٦٣)، والحاكم (٢/١٨٥) وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه رقم (١٩١٨) وغيرهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وسنده حسن.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦/٢٢٨)، ومسلم رقم(١٤٣٤) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه أحمد (٦/٩)، وأبو داود (٩/١٤)، والترمذي رقم (١٥١٤) والحاكم (٣/١٧٩) .

(وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (آل عمران:٣٦))[1].

ومن هنا كان التركيز في البداية باعتبار الزمان متمثلاً في الاهتمام ببداية كل يوم، بدليل قول رسول الله ﷺ: (ولا تحينوا بصلاتكم بين طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان -أو الشيطان-)[2]، وفي هذا الحديث نلاحظ أن النهي عن الصلاة عند الشروق والغروب، رغم أن الشمس تطلع بين قرني شيطان عند الشروق فقط، ولكن لأجل شروقها بين قرني شيطان، أصبح أثره ممتدًا إلى الغروب، وبذلك يكون الشيطان قد سيطر بالبداية على النهاية.

ولأجل أن التأثير الشيطاني بالبداية يمتد إلى النهاية، فإن النبي ﷺ أوصانا إذا نسينا التسمية في أول الطعام أن نقول: (بسم الله في أوله وآخره)[3].

وكان دعاء النبي ﷺ عند كل صباح: (أصبحنا وأصبح الملك لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم، وشر ما بعده)[4]. (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)[5].

وكان الاهتمام ببداية كل ليلة، بدليل قول رسول الله ﷺ عن جابر بن عبد الله: (إذا جنح الليل -أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ)[6].

وكما يركز الشيطان على البدايات في حياة الإنسان باعتبار الزمان، فإنه يركز عليه باعتبار المكان، ومن هنا فإن الحرز من الشيطان عند تغيير الأماكن يكون في بدايته ..

ففي دخول البيت يقول الرسول ﷺ: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء)[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٢١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري في (٥٨/٦٠/٢) ومسلم رقم (٨٢٨) من حديث بن عمر رضى الله عنهما.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦/٢٠٨)وأبو داود (١٠/٢٤٠) والترمذي (١٨٥٨).

(٤) رواه مسلم (٧٠٨٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٣، ٢٧٠٨)، والنسائي (٥٩٠،٥٩١) وأحمد (٧٨٨٥).

(٦) متفق عليه: البخاري (٦/٣٥٠)، ومسلم(٢٠١٢) من حديث جابر رضى الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله (٢٠١٨)

وفي نزول أي منزل يقول رسول الله ﷺ: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل منه)[1]. وفي دخول القرية فإن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: (يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شَرِّك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك)[2].

وهناك مشهد جميل نرى فيه قيمة البداية .. وهو مشهد فتح مكة، حيث نرى رسول الله ﷺ داخلاً مكة وهو ساجد على الناقة، ذلك أن السجود حرز من الشيطان، فلم يترك الرسول ﷺ مسافة الدخول فرصة للشيطان حتى يغتنمها لتكون البداية له[3]. ولكي نزداد شعورًا بقيمة البداية في الأحداث والموقف، نعلم أن أسلوب النجاة من الشيطان هو الخروج من الموقف الذي كانت بدايته لحساب الشيطان، مثل موقف الغضب الذي أوصى فيه رسول الله ﷺ أن يغير الإنسان حالته التي غضب فيها، فيجلس إن كان واقفًا، أو يقوم إن كان جالسًا.

ومثل تغيير موضع النوم الذي يأتي فيه الشيطان على الإنسان بحلم مفزع حيث قال ﷺ: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاث مرات، ويستعيذ من الشيطان بالله ثلاثًا وليتحول من جنبه الذي كان عليه)[4].

ولقد رحم الله الإنسان لما تاب على آدم قبل أن ينزل إلى الأرض، ذلك أن نزول آدم كان عقابًا على الخطيئة التي أخطأها، فكانت توبة الله قبل العقوبة، والله سبحانه لا يعاقب على خطيئة قد تاب على صاحبها، ولكن تقديم التوبة قبل العقاب بالنسبة لآدم، كان لأجل أن تبدأ حياة آدم على الأرض بتوبة؛ بدلاً من أن تبدأ بخطيئة، فلا تكون البداية لحساب الشيطان.

كما رحم الله الإنسان لما أخرج آدم يوم الجمعة وهو خير يوم ..

---

(١) سبق تخريجه. (٢) صحيح: أخرجه أبو داود(٢٦٣/٧) وأحمد في مسنده(١٣٢/٢).

(٣) ولهذا كان ﷺ يظهر الخضوع جداً عند النصر، كما روي أنه كان يوم الفتح -فتح مكة- داخلاً إليها من الثنية العالية، وإنه لخاضع لربه، حتى إن عثنونه ليمس مورد رحله يشكر الله على ذلك، ثم لما دخلا لبلد إغتسل وصلى ثمان ركعات وذلك ضحى، فقال بعضهم هي صلاة الضحى، وقال بعضهم بل هي صلاة الفتح، فاستحبوا للإمام وللأمير إذا فتح بلداً أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله، كما فعل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لما دخل إيوان كسرى صلى ثمان ركعات (ابن كثير جـ١ص١٤١). قصة دخوله مكة من الثنية العليا، أخرجها البخاري عن عائشة (١٨/٧) وقصة اغتساله وصلاته ثمان ركعات، أخرجها البخاري أيضاً ولكن عن أم هانىء (١٩/٨).

(٤) أخرجه مسلم(٢٢٦٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

وعلى ضوء هذه الحقيقة نفهم قول رسول الله ﷺ: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها)[1].

ورغم أن الخروج من الجنة كان هو الأمر المحذور؛ لكن الله قضى بخيرية يوم الخروج رحمةً ببني آدم، باعتبار أن النزول إلى الأرض كان بدايةً بكل الاعتبارات، زمانًا ومكانًا وحدثًا.

التركيز.. عنصر الوقت:

ولما كانت غواية الناس هي الهدف الذي حدده إبليس وأصر على تحقيقه، وكان هذا الهدف ضخمًا وواسعًا، فقد اقتضى ذلك صفة التركيز التي يتحقق بها في عمله أكبر تأثير ممكن للشر في واقع الناس.

ولهذه الصفة، كان اهتمام الشيطان بالوقت باعتباره زمنًا محددًا للهدف الضخم.

وقيمة الوقت عند الشيطان تأتي بأن حياته باعتبارها الفرصة الزمنية لتحقيق هدفه، هي كل ما استطاع أن يحصل عليه ويحققه لنفسه بعد أن لعنه الله وأخرجه من الجنة، ولذلك نجدها فرصة غالية عنده: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) (الحجر: ٣٦-٣٨).

وحتى اليوم المعلوم ذاته، سيدخل في هذه الفرصة، ذلك لأن الشيطان يعتبر أن هذه الفرصة لن تنتهي إلا بالدخول الفعلي في النار، وهذا معنى الآية: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (إبراهيم: ٢٢)، وهذا معناه أن انقضاء الأمر عند الشيطان لا يكون إلا في النار..!

ولذلك جاء عن ابن عباس ما يثبت أن للشيطان أثرًا يوم القيامة، وذلك في تفسير قول الله: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة: ٢٧٥). حيث قال أن المس هو الخبل في العقل يوم القيامة[2].

---

(١) انفرد بإخراجه مسلم رقم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) ومس الشيطان صورة من صور التناسب بين الجزاء والعمل التي ستكون يوم القيامة، والتناسب بين عمل الربا وجزاء التخبط في العقل يرجع إلى بقية النص القرآني وهو قول الله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا إنما البيع مثل الربا) (البقرة:٢٧٥) وهذا قياس عقلي للربا على البيع، فكان الجزاء على القياس العقلي الفاسد في الدنيا هو الخبل في العقل يوم القيامة.

كما تأتي قيمة الوقت من أن حياة الإنسان هي الأخرى فرصة إضلال .. لا تقل قيمة عن فرصة حياته هو؛ ومن هنا قرر الشيطان أن تكون كل لحظة في حياته وحياة الإنسان .. موقف إفساد ووقت إضلال ..

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (إن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال: له ربه عز وجل: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني)[1] وبذلك تضمن الحديث نص قرار الشيطان باستغلال كل وقت لإضلالهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

كما يقول النبي ﷺ: (المرأة عورة .. فإذا خرجت استشرفها الشيطان)[2] حيث أن لفظة **استشرفها** تعني النظر إلى الموضع التي ستخرج منه المرأة ليتبعها، فلا تضيع لحظة خرجت فيها المرأة من بيتها، دون أن يكون الشيطان معها.

والإمكانية العملية للشيطان في سرعة الحركة، هي التي يكمل بها خطر الاهتمام بالوقت عنده، ودليل تلك الإمكانية هي محاولة استراق السمع في السماء، إذ أن السرعة هي أساس تلك المحاولة بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال:قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا .. واحدًا فوق آخر- ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضًا فوق بعض – فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لا يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض، فتلقى على فم الساحر، فيَكذِبُ معها مائة كذبة، فيُصَدَّق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًا -للكلمة التي سمعت في السماء-)[3].

وبذلك صار في تحرك الشيطان مؤشر على قيمة الوقت وعنصر السرعة بدليل قول الله عز وجل: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الأعراف:١٧٥). حيث يدل هذا النص على موقف

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢٩، ٣/٧٦) والحاكم في المستدرك (٤/٢٦١).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي في الرضاع (١٧٣) من حديث ابن مسعود، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه البخاري (٨/٣٨٠) من حديث أبي هريرة.

الشيطان فتشمر فيه بسرعة الحركة، حيث لا نجد أي لحظة ضائعة بين انسلاخ العبد من آيات الله .. ومتابعة الشيطان له!

التركيز: عنصر حساب الأعمال:

ومن أهم صفات التركيز في أعمال الشيطان نجد الاهتمام بالأساس الذي يقوم به الحساب على الأعمال عند الله سبحانه ..

لأن الشيطان يعلم أن حساب الله يقوم على معنى العمل وحقيقته، ومن هنا أوحى الشيطان إلى المشركين بأن يُبَتِّكوا آذان الأنعام كما في سورة النساء: (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) (النساء: ١١٩).

فبالرغم من بساطة هذا العمل شكلاً وعدم الشعور منه بخطر ظاهر ..

إلا أن الشيطان قد اهتم به باعتبار معناه وحقيقته: وهو أنه تغيير لخلق الله، الذي يكون جزاؤه عند الله اللعن، كما قال الرسول ﷺ: (لعن الله النامصة والمتنصمة، والفالجة والمتفلجة، والواصلة والمستوصلة .. المغيرات لخلق الله)[(١)].

ولذلك يقول ابن جرير الطبري في تفسير الآية: «أراد بذلك الخبيث أن يدعوهم إلى البَحِيرَة – وهي بتك آذان الأنعام– فيستجيبوا له ويعملون بها طاعة له».

وكذلك الاهتمام بالأساس الذي يتحقق به الإهلاك بسنن الله القدرية ..

وقد كانت هذه الفكرة أساس الخطة التي وضعها للمشركين في محاولة قتل النبي ﷺ، فقد كانت فكرته هي أن يجمعوا من كل قبيلة شابًا، فيقتلوا النبي ﷺ ضربة رجل واحد، فيتوزع دمه على القبائل، فلا يستطيع أحد أن يأخذ بثأره، فالشيطان لم يكن يهمه أن يؤخذ بثأر النبي أو لا يؤخذ، ولكن الذي كان يقصده إبليس: هو أن يشترك العرب جميعهم في قتل النبي ﷺ فيحل عليهم جميعًا غضب الله، وبذلك كان أساس الفكرة: هو تحقيق الاشتراك في المسئولية، وهي حقيقة قدرية هلكت بها ثمود: (إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا) (الشمس: ١٢-١٥) واستحقت بذلك ثمود كلها عذاب الله لما انبعث أشقاها.

(١) متفق عليه: البخاري (٨/٦٣٠) ومسلم رقم (٢١٢٤)، (٢١٢٥) عن عبد الله بن مسعود.

وهذا هو نص الخطة كما جاء في سيرة ابن هشام: «قال ابن إسحاق: لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا وأصابوا سعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة ..

قال ابن عباس: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتّعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: مَنْ الشيخ ؟! فقال: شيخ من أهل نجد .. سمع بالذي اتّعدتم له فحضر معكم ليستمع ما تقولون، وعسى أن لا تعدموا منه رأيًا ونصحًا، قالوا: أجل .. !! ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا .. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله إن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب .. ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله لا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع .. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا برأي، ألم تر حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو تم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب، فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه، حتى يبايعوه عليه ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأ بهم، فيخرج أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد .. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي رأيًا ما أراكم وقفتم عليه بعد .. قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: إني أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا نسيبًا وسطًا، ثم يعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا أرى غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: لا تبت اليوم على فراشك»[1].

(١) سيرة ابن هشام.

والمثال الأساسي على اعتبار إهلاك الإنسان بعمل الشيطان من خلال الحساب عند الله: هو الدفع إلى العمل، حيث قال ابن عباس: «الوسواس إذا ولَّد (العمل) خنس الشيطان، فإذا ذكر الله ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه»[1].

ومعناه: أن الإنسان يعمل الشر بنفسه، لأنه بمجرد إنشاء الدافع يخنس الشيطان ليعمل الإنسان العمل وحده، فيتحقق الهدف، وهو أن يصبح الإنسان هو الفاعل الحقيقي والأصلي للشر.

نقض هدى الله وأمره:

وغواية الشيطان للناس تعنى حقيقة أساسية: وهي اجتيالهم عن دينهم، والميل بهم عن صراط الله المستقيم، وهذا هو الخط الأساسي لعمل الشيطان، ويتمثل هذا الخط بصفة عامة في نقض أمر الله عز وجل، كما يرتبط هذا الخط بعنصر «الشط» من مادة الشيطان وهي التي تعني -لغةً- التقابل والتضاد.

ولما كان **الهدى** هو الإمكانية الأولى التي وعد الله بها آدم للنجاة من إبليس[2]، فإن إبليس يقطع على بني آدم أسباب الهدى ثم يضعهم في طريق الضلال.

ومن هنا فإن قعود الشيطان صراط الله المستقيم، هو **المرحلة الأولى** في خطة الغواية، يعقبها مرحلة السيطرة على الإنسان ولذلك جاءت الآية بما يفيد هذه المرحلية في قول الله سبحانه: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم ..) (الأعراف: ١٦-١٧).

وأول محاولات **قطع أسباب الهداية** تكون محاولة قتل الأنبياء[3] باعتبارهم موضع التلقي لوحي الله سبحانه، ثم تكون محاولة تضييع الوحي.

ولما كان تضييع نصوص الوحي القرآني أمرًا مستحيلاً على الشيطان لأن الله قدر حفظه فإن محاولة الشيطان تتركز على **نصوص الأحاديث** باعتبارها وحيًا أيضًا وذلك بإدخال نصوص مكذوبة، وأحاديث موضوعة تتحقق بها البدعة.

ولذلك يقول ابن عباس: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحب إلى الشيطان هلاكًا مني فقيل: وكيف ؟ فقال: إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب، فيحملها

(١) ذكره البخاري تعليقا في التفسير (٨/٧٤١) موقوفا على ابن عباس.
(٢) (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة:٣٨)
(٣) قد مر ذلك في صفة التركيز الواردة في أعمال الشيطان.

الرجل إليَّ، فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة، فَتُرَدُّ عليه كما أخرجها»[1].

وعلى ضوء استحالة تضييع النص القرآني، فإن محاولة الشيطان تكون بتضييع معنى النص بالخطأ في الفهم، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحج: ٥٢).

حيث جاء في تفسير هذه الآية: أن الشيطان يحدث الخطأ:

- إما على لسان المبلغ ..
- أو في عقل من تبلغه الدعوة ..
- أو بتضييع آثار الفهم والصواب للنص.

وفي ذلك كان أمر لله سبحانه وتعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٩٨).

ومع محاولة تضييع أثر الآيات القرآنية .. تأتي محاولة تضييع أثر الآيات الكونية، وذلك باعتبارها من أهم أسباب الهداية، ولذلك فإن الشيطان يحول بين الإنسان وبين تلك الآيات، سواء بإخفاء هذه الآيات عن أعين بني آدم، كما قال ﷺ ليلة الإسراء: (فلما نزلت إلى سماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا بوهج ودخان وأصوات فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم .. أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب)[2].

أو يجعل الناس في غفلة عن تلك الآيات فلا يهتدون بها، ولذلك يقول الله في سورة النحل: (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ . وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل: ٦٣-٦٧).

---

(١) الدرامي في المقدمة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٥٣) بسند ضعيف.

ثم تذكر الآيات القرآنية جمعا من الآيات الكونية .. ليأتي في نهاية عرض هذه الآيات الكونية قول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل:٩٧، ٩٨) لتحققَ بذلك الاستعاذة بالله من الشيطان الذي يمنع أثر الآيات القرآنية والكونية في تحقيق الهداية.

ثم تأتي الفطرة: باعتبارها أهم أسباب الهداية .. فنجد أن عمل الشيطان يتقابل معها في قول رسول الله ﷺ: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلتُه عبدًا حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)[1].

غير أن الشيطان لا يستطيع انتزاع الفطرة من كيان الإنسان ولذلك يقول الحديث: (فاجتالتهم عن دينهم) وليس عن فطرتهم، وعلى ذلك يتحدد عمله بالخروج عن الدين القائم على الفطرة، ولا يتجاوزه إلى انتزاع الفطرة ذاتها.

ومن هنا نتأكد في أعمال الشيطان حقائق فطرية لا يستطيع الشيطان التغلب عليها، والمشهور في ذلك تلبية المشركين.

عن أنس قال: «كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام، فكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام، حتى أدخل عليهم التلبية: «لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. **إلا شريكا هو لك .. تملكه وما ملك**»[2].

وحتى العداء مع الشيطان وكراهيته كحقيقة فطرية قائمة في خلق الإنسان، لم يستطع الشيطان انتزاعها .. مهما بلغت ولاية هذا الإنسان للشيطان.

ولهذا لما أراد ملك مصر أن يعتدي على سارة زوجة الخليل إبراهيم وهو في طريقه مارًا بمصر، ولم يمكنه الله، نجده يقول قولا مضحكاً: «اذهبوا بها .. فقد أتيتموني بشيطان»[3]..!

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٦٥ من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٢) موقوف علي أنس رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٢٣): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) متفق عليه : البخاري (٦/٣٨٨) عن أبي هريرة موقوفا . ومسلم رقم (٢٣٧١) عن أبي هريرة مرفوعا.

وعمل الشيطان يتقابل مع الفطرة في كل صورها .. ولذلك نجد الشيطان يقترن باللبن، باعتبار أن اللبن يمثل الفطرة والدليل في حادثة الإسراء عندما قدم لرسول الله ﷺ لبن وخمر فاختار اللبن فقال جبريل: (اخترت الفطرة)[1].

أما الدليل على اقتران الشيطان باللبن فهو قول رسول الله ﷺ: (الشيطان بين الرغوة والصريح)[2]..

ولعلنا نلاحظ أن عجز الشيطان عن تغييراللبن باعتباره فطرة، جعله يستغل الفراغ الذى بين رغوة اللبن وصريحه مكتفيا بالاقتران به ..!

وإمكانية تغيير الشيطان لأمر الله الكونى إنما يكون بقدر الله سبحانه لابتلاء الانسان، **فالسحر** تأثير فى أقدار الناس ولكن بإذن الله بدليل قوله سبحانه: (وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة: ١٠٢).

والحسد تأثير في أقدار الناس، بدليل قول رسول الله ﷺ: (العين حق .. ويحضرها الشيطان، وحسد ابن ادم)[3]، ولكن بإذن الله .. بدليل قوله ﷺ: (لو كان شيء سابق القدر .. لسبقته العين)[4] .

وهذا يعنى أن الحسد يكون سببا مؤثرا .. ولكن هذا السبب لا يسبق القدر؛ لأنه لا يحدث إلا باذن الله.

ويدخل فى نقض الشيطان لأمر الله: **الكهانة** باعتبارها تغيير لأقدار الناس، لا من حيث الواقع ولكن من حيث علم الناس بتلك الأقدار، ولذلك يتسمع الشيطان في السماء لأقدار الله في أهل الأرض، فينزل ويقر بها في أذن الكاهن بعدأن يكذب عليها مائة كذبة، بدليل قول رسول الله ﷺ: (الملائكة تتحدث فى العنان -والعنان: الغمام- بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن، كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة)[5].

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٢/١٧٦) بلفظ: (لا أخاف على أمتي إلا اللبن، فإن الشيطان بين الرغوة والصريح).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٤٣٩) وإسناده منقطع: فمكحول لم يسمع من أبي هريرة كما قال الترمذي وغيره. قال الهيثمي: (٥/١٠٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وهذا لا ينافي الانقطاع المذكور.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٦/٤٣٨) من حديث أسماء والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٠٦١) وهو في مسلم (٢١٨٨) من حديثه ايضاً.

(٥) رواه البخاري (٨/٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكما ذكرنا، فإنه يدخل في نقض الشيطان لأمر الله تغيير الخلق الذى قدره الله، ومنه بتك آذان الأنعام، بدليل ماورد فى القرآن على لسان إبليس: (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ) (النساء: ١١٩).

ومن أخطر أساليب الشيطان فى نقض أمر الله: التبذير ..

وذلك باعتبار أن التبذير تأثير فى أقوات أهل الأرض لأن ما قدره الله من أقوات يوم خلق الأرض هو ما يتفق بعلم الله سبحانه وتعالى مع حاجة الإنسان .. بدليل قول الله عز وجل: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ) (فصلت: ٩-١٠).

فيصير تجاوز الإنسان لحاجته تبذيرا يستحوذ عليه الشيطان، ومن هنا كانت أخوة المبذرين للشياطين في قول الله:(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الاسراء:٢٧).

ولذلك يقول الرسول ﷺ: (إذا وقعت لقمة أحدكم .. فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة)[1].

والتبذير يدخل في كل ما زاد عن حاجة الانسان؛ ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما زاد عن الحاجة من أثاث البيت: (فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيف، وفراش للشيطان ..!)[2].

ويقول فيما زاد عن الحاجة في الدواب: (تكون إبل للشياطين، وبيوت للشياطين، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها، يخرج أحدكم بخبيثات معه قد أسمنها، فلا يعلو بعيرا منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله، وأما بيوت الشياطين .. فلم أرها)، وكان أبو سعيد يقول: «ولا أراها إلا هذه الأقفاص التي يسترها الناس بالديباج»[3].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٠٣٤) عن أنس.
(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٠٨٤) من حديث جابر بن عبد الله.
(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٢/٢٣٦) من حديث أبي هريرة.

وحتى أثناء ترك الإنسان للفراش، فإنه من الممكن أن يستغله الشيطان..

ومن هنا كان أمر رسول الله ﷺ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِه ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْه فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنفَةِ إِزَارِه ثَلَاثَ مَرَّات، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْه بَعْدَهُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبِى، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) [١].

وكراهية الشيطان للخير أو الخوف منه، هي الأساس الذي جعل وجوده يقوم على نقض أمر الله وتغييره، وبذلك صار الشيطان مقياسا مطلقا للشر، وصارت مخالفته مقياسا مطلقا للخير، وأصبحت هذه المخالفة في ذاتها حكمة شرعية.

ومن أدلة ذلك قول رسول الله ﷺ: (إذا شرب أحدكم .. فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يشرب بشماله) [٢]، وكذلك قول رسول الله ﷺ: (لا تشربوا من موضع الكسر من الإناء .. فإن الشيطان يشرب منه) [٣] وواضح من حديث النهي عن الشرب بالشمال، والنهي عن الشرب من موضع الكسر .. أن العلة في ذلك هي أن الشيطان يشرب بشماله، ويشرب من موضع الكسر، وفي ذلك انعكاس لما في نفسه من إحساسات الدونية وحب النقص والتلف [٤].

وكما كان التوافق مع الشيطان مقياسا مطلقا للشر .. أصبح التوافق مع أوليائه محققا لذلك المقياس، وذلك باعتبار توافقهم معه.

وكما كانت مخالفة الشيطان حكمة شرعية في ذاتها، كانت مخالفة أوليائه كذلك، وقد وردت النصوص بمخالفة أولياء الشيطان باعتبارهم كفارا في الدنيا، وباعتبارهم أصحاب النار في الآخرة [٥].

فبالاعتبار الأول قال ﷺ: (أحفوا الشارب واعفوا عن اللحى وخالفوا المجوس) [٦]،

(١) متفق عليه : البخاري (١١/١٢٦) ومسلم رقم (٢٧١٤) عن أبى هريرة، وصَنِفَةِ الإزار: الجزء الداخلي لطرف الثوب.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٠٢٠) عن ابن عمر.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١٠/١٨٨) بلفظ: (نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثملة القدح) وهو في المسند (٣/٨٠) وعند ابن حبان (٧/٣٥٧) وعند الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٥/٧٨): (نهى أن يشرب من كسر القدح).

(٤) وهذه الصفة متعلقة بعنصر (شطا الشيء) أي أتلفه من مادة الشيطان.

(٥) ولذلك جمع الإمام النووي النهي عن التشبه بالشيطان والكفار في باب واحد هو باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار في كتاب رياض الصالحين، وكذلك الإمام ابن تيمية في كتابيه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(٦) متفق عليه: البخاري (١٠/٣٤٩) ومسلم رقم ٢٦٠ من حديث أبي هريرة.

وقال ﷺ: (خالفوا المشركين) .. و(خالفوا اليهود) .. و(خالفوا أهل الكتاب) إلى غير ذلك من الأحاديث.

وبالاعتبار الثاني: نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بأهل النار، ومثاله النهي عنه الاتكاء على اليد اليسرى مبينا أنها جلسة أهل النار.

التماثل بين الغواية والإغواء:

واعتبار نقض هدى الله وأمره خطًا أساسيًا في غواية الناس، أبرز في عمل الشيطان صفة خطيرة .. وهي صفة التماثل بين غواية إبليس نفسه والشياطين، وبين إغواء الشياطين للناس ..

وذلك باعتبار أن غواية إبليس نفسه كانت بتلك الصفة، وهي مخالفة أمر الله، ومن هنا كانت معصية إبليس هي المنطلق الأساسي لعمل الشيطان في إغواء الناس.

فعندما عصى إبليس ربه سبحانه وتعالى، كان الشر الذي ينتهي عنده كل شر، وكانت هذه المعصية هي المنطلق العملي والمنهجي لإبليس وغوايته ابتداءً، وإغوائه لبني آدم انتهاءً .. وهذا تفسير قول الله: (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠٢) حيث ورد في ابن كثير: «وقوله (وَإِخْوَانُهُمْ) أي: وإخوان الشياطين من الإنس كقوله: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) (الإسراء: ٢٧) وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم (يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ): أي تساعدهم الشياطين على المعاصي، وتسهلها عليهم وتحسنها لهم».

وقال ابن كثير في تفسيره: «المد: الزيادة، يعني يزيدونهم في الغي، يعني: الجهل والسفه (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)، قيل معناه: إن الشياطين تمده والإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك، كما قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)، قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم». وقيل معناه كما رواه العوفي عن ابن عباس قال: «هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس (ثم لا يقصرون) يقول: لا يسأمون. وكذا قال السدي وغيره: يعني أن الشياطين يمدون أولياءهم من الإنس ولا تسأم عن إمدادهم في الشر لأن ذلك طبيعة لهم وسجية لا تفتر فيه ولا تبطل عنه».

وكذلك تفسير قوله سبحانه وتعالى: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) (الأعراف: ١٦) حيث قال ابن عباس: «فبما أغويتني: يعني كما أضللتني».

ومن هنا فإن التماثل بين الكيفية التي غوى بها إبليس، والكيفية التي يحقق بها غواية الناس .. حقيقة أساسية من الحقائق التي نفهم بها هذه النصوص.

وأسباب هذا التماثل من حيث الواقع يقتضي تحليل موقف المعصية .. ثم مطابقة عناصر الموقف بعد تحليله على أساليب الإضلال.

وموقف المعصية يتضمن عدة عناصر:

- الاستكبار الذي كان سببًا للمعصية والحسد كذلك.
- والإبلاس الذي كان نتيجة للمعصية.

والإبلاس يتضمن عدة عناصر:

- اليأس من الخير.
- الحيرة.
- الندم.
- الحزن.

وهذا التحليل يرجع في مصدره إلى السلف الصالح .. حيث جاء عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في مجموع قولهم: أن الإبلاس هو إياس من الخير .. والحسرة والندم .. والحزن .. والحيرة[١].

وبعد تحليل الموقف نبدأ مطابقة عناصره على واقع الإضلال، وسنجد أن المطابقة تتحقق من خلال عدة نصوص:

ففي الاستكبار: جاء في السنة قول النبي ﷺ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)[٢].

همزه: المَوْتَة (اختناق النفس)، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر.

وفي الحسد قال الله عز وجل: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (الفلق: ٥) ..

وقال رسول الله ﷺ: (العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم)[٣].

(١) تفسير الطبري وابن كثير.

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٢/٤٦٩) واحمد (٤/٨٣) والترمذي رقم (٢٤٢).

(٣) سبق تخريجه.

وفي اليأس من الخير قال سبحانه وتعالى: (فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) (الأنعام:٤٣،٤٤) حيث يقول ابن كثير في تفسير «مبلسون»: أي آيسون من كل خير.

وفي الحيرة قال سبحانه: (قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٧١).

وفي الندم قال سبحانه في أهل النار: (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً) (الفرقان:٢٨،٢٩).

وقال النبي ﷺ: (المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[١].

وفي الحزن قال سبحانه: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المجادلة: ١٠).

وقوله ﷺ: (الرؤيا تحزين من الشيطان)[٢].

وقد أنشأ هذا التطابق ظاهرتين ثابتتين في واقع الغواية:

الظاهرة الأولى: التماثل بين غواية الجن والإنس وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) (القصص: ٦٣) حيث جاء في تفسيرها: (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يعني من الشيطان والمردة والدعاة إلى الكفر، (رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) فاتفق بذلك أسلوب غواية الشياطين وأئمة الكفر كما اتفق مع أسلوب إغوائهم لغيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٢٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة، الترمذي (٢٢٩١) عنه أيضاً.

والظاهرة الثانية: التماثل بين غواية الأجيال المتعاقبة مع الشيطان، بدليل قول الله في سورة الحشر: (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ . لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ . لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) (الحشر: ١١-١٤).

هذا هو الواقع القائم .. يماثل الواقع السابق: (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الحشر:١٥).

وكلا الواقعين: القائم والسابق يماثلان واقع الشيطان: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) (الحشر: ١٦-١٧)

والتقليد هو وسيلة الشيطان في تحقيق التماثل بين الأجيال الجاهلية، ليستمر الشر ويتكرر ويزداد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ) (البقرة: ١٦٨-١٧٠).

وانطلاق الشر من موقف المعصية يعني تحقيق أخرى: وهو أن الشر عند إبليس ليس مجرد أسلوب نظري للإضلال، لأن إبليس عاش هذا الشر منذ البداية وبصورة عملية في موقف المعصية.

ولهذه الحقيقة من حيث الواقع عدة دلائل .. أهمها: أن الشياطين التي أضلها إبليس ابتداء مقتنعة بهذا الضلال اقتناعا حقيقيا وتدعو إليه دعوة حقيقية .. وليس الضلال عندها -هي الأخرى- مجرد أسلوب للإضلال، ولذلك يعترف الجن الذي أسلم أنه لم يكن يتصور أن يكذب الجن والإنس على الله:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الجن: ٣-٥).

وترتب على ذلك تماثل بين واقع الجن وواقع الإنس في معايشة الباطل عمليًا والاعتقاد بأنه حق لا شك فيه، ولذلك يقول الجن المؤمن لقومهم عن الكفار من البشر: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (الجن: ٧).

وقد بلغ هذا التماثل درجة من الدقة انقسم بها الجن والإنس إلى فرقة واحدة، وصار الباطل بصوره المختلفة .. واحدًا عند الاثنين، ولذلك يقول مجاهد عن الجن في تفسير قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ (الجن: ١١) يعنون مسلمين وكافرين، وقال الحسن والسدي: أمثالكم .. فمنهم قدرية، ومرجئة، ورافضة.

وفي تفسير قول الله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن: ١٤) يقول الإمام ابن تيمية: «فقد تضمنت الآية انقسامهم إلى ثلاث طبقات: صالحين، ودون صالحين، وكفار، وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم فإنها ثلاث: أبرار، ومقتصدون، وكفار، فالصالحون بإزاء الأبرار، ومن دونهم بإزاء المقتصدين، والقاسطون بإزاء الكفار»[1].

إدراك النفس البشرية:

- من حيث التقييم والتحليل:

ولما كان الإنسان هو هدف الشيطان، كان من الضروري عند الشيطان إدراك طبيعته حتى يمكن التعامل معه بالأسلوب المحقق للهدف.

وقد بدأ إدراك الشيطان لطبيعة النفس البشرية منذ أن خلق الله آدم، حتى قبل أن ينفخ فيه الروح، بدليل قوله ﷺ: (لما خلق الله آدم أخذ إبليس يطيف به .. فوجده أجوفا .. فعلم أنه خلق لا يتمالك)[2].

ولعل هذا الموقف الشيطاني هو البداية الحقيقية لكل دراسة جاهلية في النفس البشرية تهدف إلى إضلال الإنسان وإفساده ..

(١) كتاب: اقتضاء الصراط المستقيم .. مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) مسلم رقم (٢٦٦١) من حديث أنس.

والواقع أن هذا الموقف قد تضمن أصولا منهجية لهذه الدراسة من حيث (المشاهدة) والربط بين التكوين ومظاهر السلوك ..

وهذا الموقف وإن كان بداية الدراسة الجاهلية للنفس البشرية، فهو كذلك يمثل خطًا متقدما لها، ذلك أنه لم يتوقف عند حد تقييم السلوك القائم والسيطرة عليه، بل تجاوزه إلى مرحلة تحديد السلوك المتوقع، حيث انتهى إبليس إلى نتيجة أن آدم: «خَلْقٌ لا يتمالك»، وهو لم يزل بعد طينا !

ولا تزال الجاهلية تحتفظ بهذا التقدم المنهجي الذي يحقق لها الوصول إلى توقع نتائج مستقبلية في مجال السلوك الإنساني، وفي إطار مهمة الإضلال والغواية.

- من حيث الارتكاز على طبيعة الأمل:

والواقع أن أسلوب الشيطان في تعامله مع النفس البشرية يرتكز على طبيعة تلك النفس من حيث هي في الوضع الفطري، كما يرتكز على العوامل المؤثرة في تلك الطبيعة .. بما يحقق الوضع النفسي الخاضع لتأثيره وغوايته.

ومن أمثلة الارتكاز على الطبيعة البشرية في وضعها الفطري .. الارتكاز على إحساس الأمل عند الإنسان، لأن هذا الإحساس أكبر عند الإنسان من أجله وحياته. بدليل حديث ابن مسعود .. قال: (خط لنا رسول الله خطا مربعا، وخط وسطه خطا، وجعله خارجا منه، وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا، فقال: هذا ابن آدم .. وهذا أجله محيط به .. وهذا أمله قد جاوز أجله .. وهذه الخطوط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)[1].

ومن هنا صار الإحساس بالأمل عند الإنسان ركيزة أساسية في أسلوب الشيطان وعمله، وهذا معنى قول الله عز وجل: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) (الإسراء:٦٤)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (فاطر: ٥).

حيث جاء في تفسير الغرور قول مجاهد: «الغَرور: الشيطان».

وقد كان التغرير بالأمل هو أسلوب الوسوسة الأولى التي تمت لآدم من الشيطان:

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٣٥) عن ابن مسعود.

(قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى) (طه: ١٢٠) ..
(فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ) (الأعراف: ٢٢)

- من حيث الارتكاز على طبيعة الجنس لتكون دافعًا للتضحية بالنفس:

فإذا كان استيعاب الشيطان بالأمل لحياة الإنسان أمرا يقتضيه هدف الإضلال، ليتشبث الإنسان بالدنيا ويشتغل عن الآخرة، فإن هناك أمرًا آخر يقتضيه هذا الهدف، وهو دفع الإنسان إلى بذل حياته في سبيل الطاغوت ..

ذلك أن هدف الشيطان يقتضي أن يكون هناك صراع قتالي بينه وبين عباد الله المؤمنين، وأن هذا الصراع القتالي يقتضي وجود الدافع الذي يتحرك به أولياء الشيطان للقتال، ومن هنا فإن الشيطان حسب إدراكه للنفس البشرية قد جعل لأوليائه هذا الدافع من الغرائز التي تعتبر أقوى من غريزة حب الحياة، إذ من المفروض أن يكون الدافع إلى الإقدام على الموت.

وبالدراسة الإسلامية للنفس البشرية نعلم أن هناك ترتيبا للغرائز حسب قوتها، ومن هذا الترتيب: أن غريزة الجنس هي الغريزة التي تغلب غريزة حب الحياة، والدليل على ذلك هو حادثة اليهودي الذي زنى بيهودية، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال ابن عمر: (فَرُجِمَا عند البلاط .. فرأيت اليهودي أحنأ عليها)[1]، كدليل على أن الموت لم يشغل اليهودي عن حبه لتلك التي زنى بها.

والدليل على ذلك هو ما جاء في قصة هجرة إبراهيم الخليل إلى مصر، عندما كانت معه زوجته سارة، وكان في مصر ملك يأخذ كل امرأة جميلة غصبا، فعلم بقدوم سارة فطلبها، فلما جاءت أمامه دعت الله أن ينجيها منه، فخسف الله به الأرض فدعت الله فقالت: (يارب ! إن يمت يقولوا قتَلَته)، فأنجاه الله، فحاول مرة ثانية .. وثالثة !! [2].

وواضح من الموقف أن هذا الملك عندما كان يحاول مرة ثانية وثالثة كان يعلم أنه مقدم على خسف وموت.. ومع ذلك كرر المحاولة، وفي ذلك دليل على المعنى المطلوب تأكيده، ولعل أوضح الأمثلة التي تؤكد هذه الحقيقة هو دفع النساء المشركات

---

(١) أخرجه البخاري في الحدود (١٢/١٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦/٣٨٨).

للرجال المشركين لقتال المسلمين في عزوة بدر بقولهن:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراقا غير وامق

- من حيث الارتكاز على طبيعة الجنس لاستهلاك خصائص الرسالة في النفس:

فالجنس هو وسيلة الشيطان التي يستهلك بها الخصائص الفطرية في الإنسان، التي أودعها الله فيه ليكون صاحب رسالة.

ودلائل هذه الخصائص هي:

- القدرة على الحياة بقضية الرسالة ..
- وتصور الوجود من خلال تلك القضية ..
- والقدرة على مواجهة أي واقع مخالف لهذا التصور.

فعندما يحب الإنسان الجاهلي من الفراغ، فإنه بهذا الحب ينطلق نحو من أحبها بخصائص الرسالة الكامنة فيه، لأنه يعيش بلا قضية .. فتتحول تلك التي أحبها إلى قضيته التي يحيا بها، ويتصور الحياة من خلالها، ويسعى إلى الارتباط بها، محطما في سبيل ذلك أي عقبة .. وآثار الحب في الواقع الجاهلي هي الدليل على هذه الفكرة.

فعندما يمارس الجاهلي حبا .. فإنه يحب إلى حد العبودية !

وعندما يخفق في حبه .. فإما أن يصاب بالجنون بعد طغيان إحساسه بمن أحبها على عقله و واقعه ..

وإما أن يصاب بالانطواء كصورة من صور الكفر بمبدأ العلاقة بعد إخفاقه في علاقته بمن أحبها ..

أو ينتحر كصورة من صور الرفض لحياته التي كان لا يتصورها إلا من خلال علاقته التي أخفقت.

وهذه مجرد آثار للحب الجاهلي.

وبذلك يكون الخطر الحقيقي على الإنسان عندما يمارس حبًا جاهليًا .. هو عجزه تماما عن أن يكون صاحب رسالة [1].

---

(١) كتاب بيت الدعوة للمؤلف.

ومن هنا ينشأ دور المرأة في الغواية باعتبارها أخطر وسائل الشيطان في تحقيق هدف الإضلال، وذلك باعتبار خلقها من ضلع أعوج، مما جعل إبليس يستغل هذا العوج في تحقيق الغواية لآدم، ولذلك يقول الرسول ﷺ: (لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر)[1].

ثم بقيت المرأة وسيلة للشيطان ضد الرجل منذ موقف الوسوسة الأولى، ولذلك يقول النبي ﷺ: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان .. فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته .. فليأت أهله .. فإن ذلك يرد مما في نفسه)[2].

ويقول ﷺ: (المرأة عورة .. فإذا خرجت استشرفها الشيطان)[3].

وصارت أضر فتنة وأول فتنة لقوله ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)[4]، ولقوله: (اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[5].

- وفي النهاية صارت المرأة عدوة نفسها لقول عمر فيهن: (يا عدوات أنفسهن)[6]، باعتبارها وسيلة الشيطان إلى نفسها.

- من حيث استغلال الضعف العارض للنفس:

ومن إدراك الشيطان لطبيعة النفس البشرية .. كان الارتكاز على حالات ضعفها في التأثير عليها، ومن هنا كانت شكوى أيوب عليه الصلاة والسلام من تأثير الشيطان عليه في مرضه . وذلك في قول الله عز وجل: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ . ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ) (ص: ٤١-٤٣).

ولما كان المرض من أجل التأثير على الإنسان وفتنته، فقد ربط الشيطان بين أمراض الإنسان ودينه، فعن عثمان ابن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ

---

(١) متفق عليه (٣٦٣) /٦ ومسلم رقم (١٤٧٠) واللفظ له من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٤٠٣ عن جابر بن عبد الله.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) متفق عليه : البخاري (٩/١٣٧) ومسلم رقم (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد.

(٥) أخرجه مسلم (١٧/٥٥) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٦) متفق عليه : البخاري في الفضائل ٧/٤١ ومسلم رقم (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص.

وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[١].

وليس إدراك الشيطان لطبيعة النفس البشرية يعني مجرد الارتكاز على ضعفها في أسلوب الإضلال، ولكنه يعني كذلك إنشاء حالات الإضعاف لها .. ثم الارتكاز عليها بعد ذلك، ومن هنا كانت العلاقة الثابتة بين الشيطان وأمراض الإنسان، وذلك من خلال الذنوب .. باعتبار أن هذه الذنوب من عمل الشيطان، وأنها سبب في قدر الله لمرض الإنسان، كما قال ﷺ: (العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم)[٢]، كما جاء في رقية الرسول ﷺ للحسن والحسين: (أعوذ بكلمات الله التامّة، من شر كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة)[٣]، ثم يقول: (كان أبي إبراهيم يُعَوِّذُ بهما إسماعيل وإسحاق).

ومن هنا كانت الرقية من المرض بالمعوذتين باعتبار تلك العلاقة.

هذا وقد أكد النبي ﷺ أن المرض من عمل الشيطان بصورة مباشرة، عندما سئل عن الطاعون فقال: (إنه وخز أعدائكم الجن، وإنه شهادة للمسلم)[٤].

وطبقا لهذه القاعدة .. لم يتوقف الشيطان عند حد استغلال الضعف في النساء، بل إنه أنشأ فيهن ضعفا جديدا، وهو الاستحاضة.

فمن حديث حمنة جحش قالت: (كنت أستحاض حيضة شديدة كثيرة، فجئت رسول الله ﷺ أستفتيه فقلت: يا رسول الله ! إني أستحيض حيضة كثيرة شديدة فما ترى فيها ؟! قد منعتني الصلاة والصيام. فقال: أنعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم. قالت: هو أكثر من ذلك. قال: فاتخذي ثوبا قالت: هو أكثر من ذلك، فقال: فالتجمي !، قالت: إنما أثج ثجا .. فقال: سآمرك بأمرين أيهما فعلت فقد أجزأ عنك الآخر، فإن قويت عليهما فأنت أعلم: إنما هذه ركضة الشياطين .. فتحيضي ستة أيام وسبعة في علم الله)[٥].

(١) مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص (٢٢٠٢).   (٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٦/٤٠٨) عن ابن عباس.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٣٩٥)، والحاكم ١/٥٠ وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٥) أخرجه أحمد عن أبي موسي (٤/٤٣٩) وعند أبي داود (١/٤٧٥) والترمذي (١٢٨) وسنده صحيح.

صوت الشيطان:

وقد جاء الصوت باعتباره أول الإمكانيات المتاحة للشيطان في تسلطه على الإنسان، وذلك في قوله تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) (الإسراء: ٦٤).

والواقع أن صوت الشيطان بالصفة المباشرة أمر غير محسوس للإنسان، ولكن الاستفزاز الشيطاني بالصوت سيكون من خلال أي صوت له صلة بالشيطان، كأن يصدر من خلال أمر منهي عنه شرعا ..

مثل صوت النساء في صراخهن على الميت:

ففي حديث أم سلمة قالت: (لما مات أبو سلمة قلت: غريب ومات بأرض غربة، فأفضت بكاءً، فجاءت امرأة تريد أن تسعدني من الصعيد، فقال رسول الله ﷺ: تريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله عز وجل منه ؟! فقالت: فلم أبك عليه) [١].

وحديث: (لما ماتت رقية ابنة رسول الله ﷺ بكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي ﷺ لعمر: دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان) ..

ثم قال ﷺ: (مهما يكن من القلب والعين .. فمن الله والرحمن، ومهما كان من اليد واللسان .. فمن الشيطان) [٢].

وصوت الإنسان في التثاؤب:

بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب العطاس ويبغض -أو يكره- التثاؤب، فإذا قال أحدكم ها ها.. فإن ذلك الشيطان يضحك من جوفه) [٣].

وصوت الأجراس:

بدليل قول رسول الله ﷺ: (الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ) [٤].

---

(١) رواه مسلم (٩٢٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/٣٣٥) من حديث ابن عباس.
(٣) أخرجه نحوه مسلم في الصحيح (٢٩٩٤) والترمذي (٢٧٠) وأبو داود (١٣/٣٦٩) واللفظ لأحمد (٦/١٦٥).
(٤) رواه مسلم في باب كراهة الكلب والجرس في السفر (٥٦٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٦٣١).

وهذه الظواهر ليست من صوت الشيطان على وجه الحقيقة، ولكنها بصورة غير مباشرة .. وقول رسول الله ﷺ في التثاؤب: (إن الشيطان يضحك في جوفه من الإنسان) وقوله: (إياكن ونعيق الشيطان) يؤكد هذا المعنى.

والاستفزاز بالصوت .. هو إثارة مشاعر الإنسان وحميته لدفعه إلى الشر، مثلما حرك إبليس قريش لمحاربة رسول الله ﷺ في غزوة بدر بصوت النساء ينشدن:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراقا غير وامق

ومثلما أنشد أحد الشعراء اليهود شعرا في حرب بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج حتى كادت الحرب تقوم بينهما مرة أخرى.

أما صوت الشيطان بالصفة المباشرة على وجه الحقيقة، فهو أمر غير محسوس، حيث إن هناك أصوات للشيطان لا يسمعها الإنسان، بدليل قول رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج: (فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني .. فإذا أنا بوهج ودخان وأصوات فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم)[1].

فالشيطان لا يستطيع في حدود البلاء أن يحدث صوتا مباشرا في الواقع البشري إلا من خلال التسلط، مثلما صاح إبليس يوم أحد: «قُتل محمد»، وسمعته الصحابة .. وكان هذا الصياح تسلطا بسبب مخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ.

السلطة:

والسلطة مذهب أساسي في حركة إبليس، ولذلك ارتبط هدف الإضلال بها حتى صارت كلمة سلطان هي اللفظ المرادف لعمل الشيطان كما في قول الله عز وجل: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) (الإسراء: ٦٥).

وقوله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ) (النحل: ١٠٠).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٥٣) وسبق تخريجه، بدليل أن الشيطان لا يستطيع أن يحدث صوتا عندما يفتن الإنسان عن صلاته، حتى صار سماع الصوت بالأذن شرطا لتيقن الانسان من حدوث الحدث في الصلاة، لقول رسول الله ﷺ: (فلا ينفلت من صلاته حتى يسمع صوتا بأذنه أو يشم رائحة بأنفه) رواه البخاري (١/١٢٢٧) ومسلم (٣٦٢ ، ٣٦١).

ولذلك صار الشيطان -تحقيقا لمذهب السلطة- يختار من أي شيء موضع السيطرة فيه، مثلما يختار من الإنسان قلبه، لأنه إذا فسد الجسد كله ..

ومثلما يختار من البعير موضع الذروة بدليل قوله ﷺ: (ما من بعير لنا إلا وفي ذورته شيطان، فاركبوهن .. واذكروا اسم الله عليهن) (١).

ولذلك لم تركب مريم ابنة عمران بعيرا قط، وذلك من تمام الحفظ من الشيطان، لأن على رأس كل بعير شيطان .. كما قال رسول الله ﷺ.

ويختار الشيطان الذروة حتى يحقق لنفسه علوا في الأرض ..

والعلوّ .. قرين السلطة ..

مثلما يختار من الكون الشمس عند شروقها، حتى تتحقق له السيطرة الكونية، عن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله ﷺ قال: (لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان) (٢).

غير أن الصورة التطبيقية المباشرة لمذهب السلطة في حركة إبليس، هي اختيار موضع الحكم من الواقع البشري العام، بدليل قول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (النساء: ٦٠).

ومن هنا يمكن التقرير بأن أي سلطة جاهلية ما هي إلا امتداد لسلطة إبليس الذي صنع لنفسه عرشاً فوق الماء، لتنتهي إليه كل السلطات الجاهلية القائمة على وجه الأرض.

وهذا التقرير ليس فقط مجرد تحريض إسلامي على مواجهة أي سلطة جاهلية، ولكنه حقيقة أساسية تنظيمية في العلاقة بين عرش إبليس وهذه السلطات.

فكل من يحتل من البشر موقعا للحكم بغير ما أنزل الله هو شيطان،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٢١) والحاكم (١/٤٤٤) وقال: صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح ووافقه الذهبي. والربط بين الأمر بركوب البعير والتذكير بأن علي ذروته شيطانا هو نفس الربط الذي جاء في ذكر وظيفة الأنعام والتحذير من الشيطان في قوله سبحانه: (وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(الأنعام: ١٤٢).

(٢) رواه النسائي (١٥٥١) وصححه الألباني.

رغم صورته البشرية، ابتداء بأعلى مستويات السلطة، بدليل قول رسول الله ﷺ: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فيهم رجال .. قلوبهم: الشياطين في جثمان إنس)[1].

وقول رسول الله ﷺ: (إذا استشاط السلطان .. تسلط الشيطان)[2].

وانتهاء بأقل مستوياتها .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان)[3].

وأصبحت صفة الشيطنة ملازمة لكل صاحب سلطة جاهلية بدليل قول الله عز وجل: (وَإِذَا لَقُوا۟ الَّذِينَ آمَنُوا۟ قَالُوٓا۟ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (البقرة: ١٤). إذ يقول السدي: «شياطينهم: سادتهم وكبراؤهم ورؤسائهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين»، ويقول ابن عباس وابن مسعود: «رؤساؤهم في الكفر»، ويقول قتادة: «رؤساؤهم وقادتهم في الشرك والكفر». وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: «فإذا نال الشيطان ذلك – يقصد جعل الإنسان كافرا – صيره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس ونوابه»[4].

وكما يكون الارتباط بين صفة الشيطنة والسلطة الجاهلية من خلال شخص الحاكم يكون كذلك من خلال أساليب الحكم.

وأبرز تلك الأساليب: هو السحر، ولعل قصة فرعون مع موسى دليل تاريخي واضح على هذه الحقيقة، وكذلك قصة أصحاب الأخدود، حيث جاء في أولها: (كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ..)[5] ..

ويفيد هذا أن الساحر للملك .. والسحر أسلوب للحكم.

والسحر باعتباره باطلا وكذبا، فإنه يحقق أغراض الحاكم الظالم ..

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٢٦) بسند فيه ضعف، واستشاط: أي تحرك من شدة الغضب وتلهب وصار كأنه نار تسلط الشيطان، فأغراه بالإيقاع بمن غضب عليه، وهو استفعل من شاط يشيط: إذا كان يحترق (تاج العروس للأمام الزبيدي).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/٩٣) وابن ماجة رقم (٢٣١٢) وابن حبان (١٥٤٠) بسند ضعيف.

(٤) تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٥) رواه مسلم (٨/١٣٠) عن صهيب رضي الله عنه.

وأي منهج ليس من عند الله يخضع له الناس .. يحقق نتائج السحر، وليس هناك فارق بينهما إلا في الشكل والاسم، فالمهم ألا يكون هناك في المجتمع قوة عاقلة، أو عقل قوي، وهذا ما يتحقق بالسحر وبأي منهج بشري مهما كان؛ لأنه منهج غير اسلامي يتفق في خصائصه مع السحر، إذ أن **السحر تَخَيُّل بتأثير عامل الخوف، واستغلال حالة الجهل ..**

وأي منهج يتخيل الإنسان صوابه بتأثير الإرهاب الذي يفرض به، أو الجدل الذي ينشر به من خلال الجهل والضعف .. فإنه يحقق نتائج السحر[1].

ولما كان جميع الناس هدفا لإضلال إبليس، وكانت السلطة أساس تحقيق هذا الهدف، فإننا نجد أن السلطة الشيطانية ممتدة في كل الواقع البشري .. على مستوى أصغر وحدة اجتماعية ..

قال جابر بن عبد الله: «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد .. كهان ينزل عليهم الشيطان».

وبهذا التصور تدخل أساليب الحرز من الشيطان .. ضمن الإمكانيات المطلوبة لتنفيذ مهمة إسقاط الحكم الجاهلي ..! وذلك باعتبار أن سلطة إبليس على الإنسان بالصفة الفردية .. هي السبب المباشر لسلطته على الإنسان في صورة السلطة العامة والنظام القائم.

وكذلك باعتبار أن خروج الفرد على سلطة إبليس بالصفة الفردية، هي الدليل العملي على إمكانية مشاركة هذا الفرد في إسقاط سلطة إبليس بالصفة العامة.

وكما تدخل أسباب الحرز الفردي من الشيطان أساسا لإسقاط الحكم الجاهلي، فإنه بهذا التصور أيضا يكون قيام الحكم الإسلامي هو الحرز العام الذي يحقق النجاة الاجتماعية من سلطة الشيطان ..

ابتداء من أبسط مسنويات هذا الحكم: وهي سلطة الرجل في بيته ..

وانتهاء بأعلاها: وهي سلطة الحاكم على المجتمع ..

فسلطة الرجل على بيته وتصرفه إذا أصاب .. حماية لبيته من الشيطان، وإذا أخطأ .. ينال بخطئه عقوبة التأثير الشيطاني في هذا البيت ..

---

(١) أصحاب الأخدود — للمؤلف.

بدليل قول الرسول ﷺ: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)[1].

أما سلطة الحاكم في المجتمع، فالدليل على كونها حرزا من الشيطان إذا كانت صحيحة .. هو إمارة عمر بن الخطاب، ذلك أن عمر كان أميرا للمؤمنين، وكان الشيطان يفر منه ويخافه، بدليل قول رسول الله ﷺ: (ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره)[2]، فكانت إمارة عمر حرزا للأمة من الشيطان، وكان عمر هو الباب الذي كان مغلقا أمام الشيطان في محاولة الدخول إلى الأمة، وكان كسر الباب هو قتل عمر بن الخطاب .. بدليل هذا الحديث: عن حذيفة قال: (كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ..؟

قال فقلت: أنا ! .. قال: إنك لجريء ! .. وكيف قال؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

فقال عمر: ليس عن هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر ..

قال فقلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين ..! إن بينك وبينها بابا مغلقا.

قال: أفيكسر الباب أم يفتح ؟ قال قلت: لا .. بل يكسر !

قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً ..

قال -أي راوي الحديث- .. فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم مَن الباب ؟

قال: نعم .. كما يعلم أن دون غد الليلة ! .. إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط ..

قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق: سله ! فسأله فقال: عمر)[3].

وفي رواية: (كان عمر يعلم أنه الباب وكان يعلم أن كسر الباب قتله).

(١) رواه مسلم (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: وسبق تخريجه. وقد ارتكز النبي ﷺ على حقيقة خوف الشيطان من عمر في مواجهة ابن الصياد الذي كان يأتيه الشيطان فيدعي النبوة، وذلك ما جاء في صحيح مسلم: رقم (٢٩٢٤) عن ابن عمر: (انطلق عمر مع رسول الله ﷺ . ثم قال رسول الله ﷺ: إني اخبأت لك خبيئة .. فقال ابن الصياد: الدخ فقال رسول الله ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك ..) وكانت الخبيئة هي كلمة «الدخان» .. فلم يستطع الشيطان أن يلقيها إلى ابن صياد كاملة في حضور عمر فقال: «الدخ».

(٣) متفق عليه البخاري (٢/٩) ومسلم رقم ١٤٤ عن حذيفة رضي الله عنه .

ولأجل أن خطورة السلطة الإسلامية على الشيطان قد بلغت أن تكون حرزا للأمة منه، فإننا نجد أنه لا يطيق قيامها، ويعتبر هدف إسقاطها إذا قامت .. مهمة أساسية عنده، ودليل ذلك هو موقف الشياطين من ملك سليمان حيث جاء تفسير قول الله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) (ص: ٣٤) .

قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والحسن: «جسد: يعني شيطان» مؤكدين هذا القول بقصة مضمونها: أنه كانت هناك محاولة انقلاب شيطانية ضد حكم سليمان فقدر الله فشلها ونجاته منها بعد بلائه بها.

ولعل هذه الحقيقة تكون تنبيها للذين يتلهفون على قيام السلطة الإسلامية دون الاستعداد للمحافظة عليها بعد قيامها. إذ أن العقبات الضخمة التي يصنعها الشيطان في سبيل قيام هذه السلطة ستكون قليلة بجانب الأساليب والوسائل التي سيمارسها الشيطان لمحاولة إسقاطها إذا قامت.

ولما فشلت المحاولة الشيطانية ضد سليمان في حياته لم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل قدمت الشياطين تفسيرا باطلا لسلطة سليمان بعد موته.

مما يعني أن الشيطان لا يقاوم فقط واقع السلطة الإسلامية إذا كانت قائمة ..

بل يقاوم مجرد أن تكون هذه السلطة -إذا غابت عن الواقع - تجربة تاريخية ناجحة !

ففي تفسير قول الله: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) (البقرة: ١٠٢) يقول الإمام ابن كثير بعد أن أورد قول ابن عباس، والربيع ابن أنس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ومحمد ابن اسحاق، وابن جرير وغيرهم، قال: «فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص السياق القصة، والجمع بين أطرافها وإنه لا تعارض بين السياق على اللبيب الفهم. أما الملخص ففيه: أن السحر انتشر في عهد سليمان وكتبوا فيه كتبا، فجمعها سليمان حتى يمنعهم منها، ودفنها تحت كرسيه، وهو المكان الذي لا تستطيع الشياطين الاقتراب منه: فلما مات سليمان، دلت الشياطين الناس على هذه الكتب، فاستخرجوها من تحت الكرسي وأشاعوا أن سليمان كان يحكم الجن والإنس بها واتهموا سليمان بالسحر.

فلما بعث الله النبي ﷺ وذكر نبي الله سليمان، قالت اليهود إن سليمان كان ساحرا، فنزل قول الله ردا عليهم: (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) (البقرة: ١٠٢)».

السامري:

ولعل قصة السامري تعد نموذجا سياسيا خبيثا لأساليب إهدار أي زعامة إسلامية التفت حولها الأمة .. فبلغت مقام السلطة عليها.

السامري .. هذا الاسم الذي لم يظهر إلا مع العجل، بعد أن كان مختفيا عن الأحداث الجليلة والمواقف الخطيرة، فلم يكن له ذكر في مهمة الخروج وقضية النجاة .. مختفيا يترقب من بعيد فرصته السياسية بعد زوال الخطر ..

وتعجَّل موسى، وغابت القيادة، وجاءت الفرصة .. فظهر السامري:(وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) (طه: ٨٣-٨٥)

ظهر محاولا نهب القضية .. واغتصاب ثمرة الكفاح الإسلامي الشاق:(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) (طه: ٨٨).

ومن تحليل الظرف السياسي الذي ظهر فيه السامري .. تتأكد ضرورة اليقظة الكاملة في طريق الدعوة، بحيث يكون لكل تصرف كل حساب، لأن السامري نظرية ثابتة في واقع الصراع الإسلامي مع الجاهلية ..

سيحاول ممارستها مع كل محاولة إسلامية جديدة .. سامري جديد، يتلهف إلى لحظة يكون فيها هو الزعيم والقائد .. بعد جهاد شاق، وتضحيات هائلة، وبذل ضخم لأصحاب هذه الدعوة.

الشكل التنظيمي:

ولما كان النظام صفة سياسية للسلطة، فقد أخذ الشيطان تحركه من تلك الصفة.

فهناك سلطة على أعلى مستوى تبدأ من عند الكرسي الذي يجلس عليه إبليس، وتنتهي عند أقل مستوى ممثل في سلطة أي شيطان على الشياطين التي تشاركه

عملا من الأعمال، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا لم يذكر الله قال: أدركتم المبيت والعشاء)[1]، والخطاب موجه من الشيطان إلى زملائه الذين معه، ليحفظ بكلامه حقه وحقهم معه في المبيت والعشاء، وكذلك إذا دخل الرجل ولم يذكر اسم الله، وبذلك يكون شيطان واحد قد حدد موقف جماعة الشياطين الذين معه .. وهذا نظام.

والسلطة بكل مستوياتها تقوم على التفاضل بين الشياطين، والتفاضل يكون بمقدار الفساد الذي يقوم به الشياطين، فيثبت بذلك ارتباط نظام الشياطين بهدفه، بدليل قول رسول الله ﷺ عن الشياطين بالنسبة لإبليس: (وأعظمهم مكانة .. أعظمهم فتنة) وفي رواية أخرى: (وأدناهم منزلة أعظمهم فتنة)[2].

ومن أجل أن القرب من إبليس يكون بمقدار الفساد فإننا نجده – لعنه الله – قد صنع لنفسه عرشا، وجعل حول العرش حيات، بدليل حديث ابن صياد عندما سأله النبي ﷺ وقال: (له ماذا ترى ؟ قال: أرى عرشا حوله حيات، فقال رسول الله ﷺ: هو عرش إبليس)[3].

وبالطبع فإن تقريب الحيات إليه إنما هو اعتراف منه بقيمة المهمة التي أدتها الحية في إدخاله إلى الجنة، للوسوسة إلى آدم[4].

وفي رؤية ابن صياد لعرش إبليس – وهو يدّعي النبوة – دليل على ارتباط الإفساد بعرش إبليس كأساس تنظيمي في واقع الشياطين.

أما جانب النظام الذي يتحرك به الشياطين في الواقع البشري، فينكشف من خلال عدة حقائق:

---

(١) مسلم رقم ٢٠١٨ من حديث جابر وسبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم رقم (٢٩٢٥) عن أبي سعيد وسبق تخريجه.

(٤) جاء في تفسير قوله الله عز وجل: (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو)(البقرة:٣٦) قول ابن عباس والسدي: آدم وحواء وإبليس والحية . وقول مجاهد: آدم وإبليس والحية يقول ابن جرير الطبري في تفسير الآية: « أما عداوة آدم والحية فقد ذكرنا ما روي في ذلك عن ابن عباس ومن قال بقوله». وقد قال رسول الله ﷺ في الحيات: (ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن تركهن خيفة منهن فليس منا) أبو داود (١٤/١٦٣) وأحمد (٢/٢٤٧) .

- تخصيص شيطان لكل إنسان بدليل قول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه من الجن)[1].

وفي تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) (ق:٢٣) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: «هو الشيطان الذي وكل به»[2].

وتخصيص الشيطان للإنسان يكون بصورة كاملة، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيءٍ من شأنه)[3]، وقوله: (إن الشيطان يرصد ابن آدم عند كل شيءٍ)[4]، وقوله: (إن الشيطان ليقف للإنسان في أطرقه)[5]، أي جميع طرقه.

- تخصيص شيطان لكل مكان .. بدليل أن رسول الله ﷺ قال في المكان الذي طلعت فيه الشمس على الصحابة دون أن يصلوا الصبح: (إن في هذا المكان شيطانا)[6].

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: (اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها)[7].

وقال ﷺ: (من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .. لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك)[8].

وبدليل قول رسول الله ﷺ: (أشر الأماكن: الأسواق .. ففيها تنصب الشياطين رايتها)[9].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨١٤ من رواية ابن مسعود رضي الله عنه وسبق تخريجه.
(٢) ابن كثير ص ٣٥٣ جـ٧ طبعه الشعب.
(٣) مسلم رقم (٢٠٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أحمد (٣/٣٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر وسنده ضعيف من أجل ابن لهيعة.
(٥) صحيح: أخرجه النسائي (٦/٢٢,٢١) وأحمد ٣/٤٨٣ وابن حبان ٧/٥٧ من حديث صبرة بن الفاكه.
(٦) أخرجه مسلم برقم ٦٨٠ من حديث أبي هريرة بلفظ .. (فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان).
(٧) صحيح: أخرجه الحاكم (٢/١٠٠) والنسائي في اليوم والليلة (٥٤٥,٥٤٤,٥٤٢) وابن حبان (٧/٤٢٥) والطبراني في الكبير (٨/٣٩) وغيرهم من حديث صهيب.
(٨) صحيح: عند مسلم في صحيحه رقم (٢٧٢٣) من حديث ابن عباس.
(٩) سبق تخريجه.

ولذلك كان رسول الله يقول إذا دخل واديا: (أعوذ بالله من أهل هذا الوادي).

وعندما جاءت الجن لتبايع النبي ﷺ كانت تُسمَّى بأسماء الأماكن التي يسكنونها مثل: (جن نَصيبِين، وجن نِينَوى)[1].

ومن هنا كان من مبادئ الحرز من الشيطان: **الخروج من أماكن التسلط.**

مثلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل من المكان الذي طلعت فيه الشمس على الصحابة دون أن يصلوا قائلا: (إن في هذا المكان شيطانا) .. وأمر بالرحيل.

ولعل الصلة بين التسلط ومكانه كانت من حكمة العالم الذي جاءه رجل قتل تسعا وتسعين نفسا وسأله: (هل لي من توبة ؟ قال: نعم، على أن تترك أرض المعصية)[2].

ولكي ندرك عمق النظام في واقع الشيطان، نعلم أن تسمية الشيطان هناك تتبع الوظيفة التي يؤديها .. !!

بدليل أن الشيطان الذي تخصص في إفساد الصلاة يقال له **خنزب**، بدليل حديث عثمان بن أبي العاص حيث أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله ! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا .. قال: ففعلت فأذهبه الله عني)[3].

والشيطان الذي تخصص في الوضوء يقال له: **الولهان**، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان)[4].

ومنذ أن سمي إبليس بهذا الاسم تحققت فيه كل معانيه، وهي الأبلسة بعناصرها الأساسية: الخوف والندم والحزن واليأس.

ومنذ أن حدث ذلك .. أصبح لكل شيطان اسم، وأصبح هذا الاسم دليل خطيئة هذا الشيطان، ووظيفة هذا الشيطان، وأثر هذا الشيطان ..

---

(١) كما جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ: (وإنه قد أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن) الحديث أخرجه البخاري (٧/١٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: مسلم عن أبى سعيد (٢٧٦٦) والبخاري (٥١٢) عنه أيضا.

(٣) مسلم رقم (٢٢٠٣) من حديث عثمان بن أبي العاص.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٥٧)، وابن ماجه رقم (٤٢١) والحاكم رقم (١/١٦٢) وغيرهم وسنده ضعيف.

ولنأخذ لذلك مثلا نجده واضحا في شيطان الصلاة .. واسمه «خنزب» ..

وكلمة خنزب معناها أو حقيقتها: قطعة اللحم النتن !

ويروى بالكسر والضم، وقال أبو عمر: «وهو -أي خنزب- لقب للشيطان، ومنها خنزب بالضم يكون بالتخلل بين المصلين، وتغييب الإنسان أثناء الصلاة لإحداث السهو، وحرمان المصلي من ثواب صلاته».

ومنع الإنسان عن الصلاة .. معناها فقد الإرادة:

وأقرب صفة للإنسان بلا إرادة .. هي قطعة اللحم النتن، لأن الإنسان بلا إرادة كتلة لحمية هامدة لا حراك لها، والإنسان بلا صلاة كتلة لحمية هامدة لا روح فيها .. لأن مثل: (الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الحَىِّ وَالمَيِّتِ)[1] كما قال الرسول ﷺ. وكما قال رسول الله ﷺ: (صلُّوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا)[2]، لأن الذي لا يصلي ميت .. وبيته القبر.

ومن هنا يبرز في الإنسان التارك للصلاة .. صفة الشيطان الذي منعه من الصلاة، فيصير الإنسان هو الآخر .. خنزب !

ولأن شيطان الصلاة يتخلل الصلاة، والتخلل يكون خلال أصغر ثغرة ممكنة، فإن وصف شيطان الصلاة بقطعة اللحم المنتنة، تقرب الاسم من الوصف، وكأنه قطعه لحم تتخلل الثغرة، ومن هنا اعتبر رسول الله ﷺ البيت الذي لا يذكر فيه اسم الله كالمقبرة وقال: (صلُّوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا) يعني النوافل.

وتحقق اسم خنزب بترك الصلاة يتبع حقيقة أخرى، وهي أن بعد الإنسان عن الصلاة يظهر فيه صفة الطين بلا نفخة من روح الله، والطين من حمأ مسنون، ومسنون أي عفن، الأمر الذي يعين الشيطان على تحقيق اسمه ووظيفته وأثر وظيفته في الإنسان بغير صلاة.

وإذا أخذنا مثل آخر للعلاقة بين اسم الشيطان ووظيفته فتجده في شيطان الوضوء .. أو شيطان الماء .. ويسمى الولهان، من الوله، والوله هو الحزن وذهاب العقل، والتحير من شدة الحزن أو الخوف. ولعلنا نلاحظ في الاسم اجتماع عناصر الأبلسة: وهي الحيرة والخوف والحزن.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) عن أبي موسى رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٧).

ووظيفة شيطان الماء: هي الوله بالماء، ومنه كان الاسم ولهان.

أما علاقة عناصر الأبلسة بالوله فهي الآثار المتحققة من وله الإنسان بالماء .. وهو مرض وسواس الماء الذي يصيب الإنسان والعياذ بالله، فيصبح مسرورا جدا بقربه من الماء، فإذا ابتعد الماء عنه أصابته حيرة شديدة، وحزن شديد، وخوف شديد ..

ومثل ثالث من أسماء الشيطان هو: الأجدع .. ومعناه لغة: مقطوع الأنف.

والجداع: الموت.

والمجادعة: المخاصمة، وجادعه مجادعة وجداعا: شاتمه وأثاره.

وجدع النبات: القحط، وجدع الغلام: ساء غذاؤه.

وجدعته: سجنته وحبسته، وجدع الرجل عياله: إذا حبس عنهم الخير، وجدعه ما دب من الشر.

ويقال هو الشيطان والمارد والمارج.

روي عن مسروق أنه قال: (قدمت على عمر فقال لي: ما اسمك؟، فقلت: مسروق ابن الأجدع ! قال: أنت مسروق بن عبد الرحمن حدثنا رسول الله ﷺ أن الأجدع شيطان).

جداع، جذاع: كلأ جُداعٌ،

والجنادع: الأحناش .. وهي الحيات السوداء أعظم من الثعبان، رؤوسها كالحرابي جمع حرباء وسوام أبرص وأكبر.

وللاسم علاقة أصلية بالشيطان لأن الأجدع مقطوع الأنف، والقطع من النقص الذي هو طبيعة ذاتية للشيطان، فهذا أمر.

ولكن الملاحظة العجيبة والخطيرة: أن لا تخرج جميع مشتقات الاسم عن أعمال الشيطان وآثاره في الواقع ..!

ويمثل الدقة التي تكون في تسمية الشيطان حسب وظيفته ..

يكون التناسب بين أسلوب الإفساد، وبين العمل الصالح المراد إفساده ..

التصور القدري للقضية

وفي تفسير قول الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج: ٤)، قال مجاهد: «يعني الشيطان، كتب عليه كتابه قدرية، ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ إن اتبعه وقلده، ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أن يضله في الدنيا .. ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير».

وهذا التفسير الذي قاله مجاهد يدل على أن أثر الشيطان على الإنسان أمر قدري مكتوب، لا يخرج عن إذن الله ومشيئته الكونية ..

والتصور القدري لقضية الشيطان ينبني على عدة حقائق:

١ — قدر البلاء.

٢ — قدر التسلط.

٣ — قدر الحرز.

الحقيقة الأولى منها: أن الشيطان بلاء للإنسان ..

وفي تحديد معنى البلاء من الشيطان .. يثبت أن لهذا المعنى ثلاثة حدود:

– الحد الأول: أن البلاء هو الأمر الذي لا يمنع الحرزُ حدوثَه أصلا، لأن الحرز لا يمنع البلاء؛ ولكن يمنع التسلط.

– الحد الثاني: أن البلاء بالشيطان قائم باعتبار أن الوجود الإنساني على الأرض هو الأساس في العلاقة الكونية بين الإنسان والشيطان.

– الحد الثالث: أن البلاء بالشيطان مرتبط بالصفة الأساسية للبلاء بمعناه العام وهو العدل[1]، بمعنى أن البلاء بالشيطان يتفق مع إمكانية الإنسان في التغلب عليه.. والنجاة منه.

---

(١) بدليل قول رسول الله ﷺ: (أشد الناس بلاء: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) . وقوله ﷺ: (يبتلى المرء بقدر صلابته في دينه، فإن علم في دينه صلابة زيد ابتلاؤه وإن علم في دينه رقة خفف من ابتلائه). صحيح أخرجه أحمد (١٧٢/١) والترمذي رقم (٢٣٩٨) وغيرهم من حديث سعد ابن أبى وقاص.

أما عن الحد الأول وهو: أمور البلاء التي تتحقق، ولا يمنع الحرز حدوثها ولكن يمنع آثارها وهي:

القرين: وهو الشيطان المخصص لكل إنسان والدليل عليه قول رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله !؟ قال: وإياي ! .. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم [1] فلا يأمرني إلا بالخير) [2].

وهذا يعني أن القرين بمعنى البلاء، يكون بقدر الله .. فإذا أعان الله الإنسان عليه، كتبت له النجاة منه، ولا يستطيع إبليس أن يجعل للإنسان قريناً غير القرين الذي تغلب عليه الإنسان، لأن البلاء بالقرين ينتهي بهذه الغلبة، بدليل أن قرين رسول الله الذي أسلم، بقي معه ﷺ.

وأحيانا يأتي البلاء بالقرين بمعنى التسلط، كما في قوله تعالى: (وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) (النساء: ٣٨)، وقوله عز وجل: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف:٣٦).

النخس عند الولادة: بدليل قول رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا .. من نخسه إياه .. إلا مريم وابنها) [3].

حظ الشيطان: والدليل عليه في حادثة شق الصدر الأولى التي حدثت للرسول ﷺ: (فعن أنس بن مالك أن رسول الله أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه .. فاستخرج من القلب علقة .. فقال: «هذا حظ الشيطان منه»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه) [4].

وواضح من النص أن هذا الأمر بقدر الله .. لأن لفظ حظ: هي أن تنال شيئا .. دون أن تبذل جهدا فيه، وهذا يعني أن حظ الشيطان من الإنسان .. ليس بجهد أو عمل من الشيطان !

الجري من ابن آدم مجرى الدم: عن علي بن الحسين عن صفية بنت حُيَيّ أم المؤمنين قالت: (كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته .. ثم قمت

(١) أسلم بفتح الميم وهو الرواية الأظهر، كما قال القاضي عياض، ومعناه مسلما مؤمنا، لقوله: فلا يأمرني إلا بالخير.
(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٣) البخاري (٨/٢١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم رقم (١٦٢) من حديث أنس.

فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي: على رسلكما .. إنها صفية بنت حُيَيّ ! فقالا: سبحان الله يا رسول الله !! فقال: إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا -أو شيئا-)[١].

الحلم: بدليل قول رسول الله ﷺ: (الرؤية الصالحة من الله .. فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره .. فلا يحدث به، وليتفل عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. فإنها لن تضره)[٢].

البيات في الأنف: لقول رسول الله ﷺ: (إذا استيقظ أحدكم من منامه، فليستنثر ثلاث مرات .. فإن الشيطان يبيت على خياشيمه)[٣].

العقد على القافية: بدليل قول رسول الله ﷺ: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام .. ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس .. وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)[٤].

الوسوسة: التي هي مبادئ الإرادة، «فإنَّ القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه ويُشَهِّيه، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها، ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه، فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني ويشهي ويُنْسِي علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتلذذ بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مددا لهم وعونا، فإن سكنوا .. حركهم، وإن ونوا .. أزعجهم، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) (مريم: ٨٣) ..

(١) متفق عليه: البخاري (٤/٢٧٨) ومسلم رقم (٢١٧٥) عن صفية.
(٢) مسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة رضي الله عنه.
(٣) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق (٦/٣٣٩) ومسلم في الطهارة (٢٣٨) من حديث أبي هريرة.
(٤) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق (٦/٣٢٥) ومسلم في المسافرين رقم (٧٧٦) عن أبي هريرة.

فالخطرة .. ثم الفكرة .. ثم الشهوة .. ثم الإرادة .. ثم العزيمة الجارفة .. ثم الذنب ..

والصدر هو موضع الوسوسة .. وتأمل السر في قوله تعالى: (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) (الناس: ٥) ولم يقل في قلوبهم، والصدر هو ساحة القلب وبيته، فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر، ثم تلج في القلب، فهو بمنزلة الدهليز له، ومن القلب تخرج الأوامر والإرشادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود»[١].

وليس هناك أي علامة نستطيع أن نفرق بها بين الخطأ الذي يأتي من النفس، والخطأ الذي يأتي من الشيطان، لأن وسوسة الشيطان تزيين للنفس .. بحيث يبلغ هذا التزيين درجه الدافع الذي يأتي من النفس ذاتها.

التمثُّل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت .. فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج .. وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ! ما فعل أسيرك البارحة ؟! قال قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا .. فرحمته فخليت سبيله، قال: أما أنه قد كذبك .. وسيعود !، فعرفت أنه سيعود لقو ل رسول الله ﷺ أنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك لرسول الله ﷺ ! قال: دعني فإني محتاج ولي عيال .. لا أعود !، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ! ما فعل أسيرك ؟!، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا .. فرحمته فخليت سبيله، قال: أما أنه كذبك .. وسيعود ! ؛ فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .. وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود .. ثم تعود ! قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي ؟! قال: إذا أويت إلى فراشك .. فاقرأ آية الكرسي (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (البقرة: ٢٥٥) حيث تختم الآية .. فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة ؟! قلت: يا رسول الله .. زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني

(١) تفسير سورة المعوذتين لابن القيم.

الله بها فخليت سبيله. قال: ما هي ؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك .. فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شئ على الخير، فقال النبي ﷺ: أما إنه صَدَقَك .. وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟! قلت: لا .. فقال: ذاك الشيطان)[1].

وعن ابن عباس قال: «جاء إبليس يوم بدر في جند من الشيطان .. معه رايته في صورة سراقة بن مالك، فقال الشيطان للمشركين: (لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ) (الأنفال: ٤٨) وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه -وكانت يده في رجل من المشركين- انتزع إبليس يده، فولى مدبرا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة ! تزعم أنك لنا جار قال: (إِنِّي بَرِيءٌ) (الأنفال: ٤٨) وذلك حين رأى الملائكة»[2].

ولكن اختيار إبليس لصورة سراقة بن مالك وهو يتمثل للمشركين داعيا إياهم إلى قتل النبي ﷺ، أمرٌ له دلالة عنده .. فسراقة بن مالك: الرجل الذي كاد يصل إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر في طريق الهجرة ويدل عليهما المشركين ليقتلوه ..

وكم تمنى إبليس أن يتم ذلك، لولا إرادة الله سبحانه وتعالى بغير ذلك، ونجاة رسول الله ﷺ بغرس ساق الفرس الذي يركبه سراقة في الرمال بقدرة الله تبارك وتعالى، ولكن الأمنية بقيت في نفس إبليس ..

وها هي فرصة ثانية لقتل النبي ﷺ تذكر إبليس بالفرصة الأولى .. وتذكّره أيضًا بالرجل الذي كان سيسلمه إلى قريش في الفرصة الأولى، فيتمثل بصورته في فرصته الثانية ..!

وكان سراقة بن مالك علاقة وبشرى على غلبة هذا الدين وامتداده ..

لأن رسول الله ﷺ طلب أن يخذل عنه، ووعده بسواري كسرى.

رسول الله ﷺ يعد بسواري كسرى وهو في طريق الهجرة .. ويكاد يصل إليه من سيدل عليه ليقتله المشركون .. !

---

(١) ذكره البخاري معلقاً (٤/٤٨٧) عن أبي هريرة.

(٢) ذكرها ابن إسحاق في سيرته، راجع لها تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢).

إن هذا الموقف يدل على الأساس العقدي السليم للرؤية المستقبلية للدعوة.

ويريد إبليس أن يذهب الموقف .. فيصبح سراقة صاحب الموقف .. هو الصورة التي يتمثلها وهو يدعو إلى قتل النبي ﷺ، ظنا منه بأنه سيقتل .. فتضييع العلامة، وتتبدل البشرى، وتتحول صورة سراقة بدلا من علامة للبشرى للنصر والفتح ..

إلى شكل للشؤم والقتل للدعوة في أول غزواتها .. ويتهدم دليل بارز على الأساس العقيدي السليم للرؤيا المستقبلية للدعوة.

لكن الصورة التي لا يستطيع الشيطان أن يتمثل بها .. هي صورة النبي ﷺ .. بدليل قوله ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[1]، وفي رواية (لا يتصور بي) وثالثة: (لا يتشبه بي أو يتكونني).

<u>أما عن الحد الثاني:</u> وهو اعتبار الوجود الإنساني على الأرض هو الأساس في العلاقة الكونية بين الإنسان والشيطان، فإن أدلته قول الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩) وهذا معناه أن الوجود الإنساني هو الأساس في النظام الكوني، باعتبار أن الأرض أصلا مخلوقة للإنسان.

ومن هنا فإن مشاركة الشياطين للبشر في الأموال والأولاد [2]، إنما هي من معنى التسلط .. وليست من حد البلاء.

أما الأصل في الوجود الكوني للجن، فهو عدم المشاركة للبشر في أقواتهم على الأرض، لذلك فإن إخواننا الجن المؤمنين لا يشاركوننا في الأقوات بدليل قول رسول الله ﷺ: (أتاني وفد جن نَصِيبِين ونعم الجن، فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما)[3]، وفي رواية: (العظم لهم .. والروث لبهائمهم).

وواضح من النص أن طعام الجن المؤمن وطعام بهائمهم لا يؤثر في قوت البشر المؤمن.

---

(١) متفق عليه: البخاري في التفسير (١٢/٣٨٣)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٦) .

(٢) كما في قوله عز وجل: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا).

(٣) أخرجه البخاري (٧/١٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن حيث الظهور: فإن الأصل في العلاقة الكونية .. هو عدم ظهور الجن لنا بدليل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧).
ومن هنا فإن أيَّ حالة من حالات الرؤية له أو ظهوره لنا يعتبر خرقا كونيا يرتبط بطبيعة النظام الكوني المتغير حسب الأمم والقرون، فلما كانت الخوارق الكونية قبل بعثة الرسول -مثلا- أمرا طبيعيا نجد أن الظهور الكوني للشياطين يأخذ تلك الصفة الطبيعية مثال تلك الحادثة:

(بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ بالرجل، فدُعِيَ له فقال له ذلك، فقال: مارأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟! قال: بينما أنا يوما في السوق، جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت: «ألم تر الجن وإبلاسها، ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها» قال عمر: صدق !، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذا جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه، يقول: «يا جليح .. أمر نجيح .. رجل فصيح .. يقول: لا إله إلا الله» .. فوثب القوم، قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى: «يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله آلا الله»، فقمت، فما لبثنا أن قيل: هذا نبي)[1].

وعندما تظهر الخوارق في آخر الزمان .. يكون ظهور الشيطان كذلك بصفة طبيعية .. وخصوصا عند ظهور الدجال، الذي سيكون أشد فتنة من الشياطين، فيصيرون جنودا له، ويعملون بأمره، وذلك طبقا لقاعدة ارتباط السلطة بهدف إضلال الإنسان[2].

ولذلك يقول النبي ﷺ: (يقول للرجل -يعني الدجال- أرأيت إن بعثت أباك وابنك ومن تعرف من أهلك .. أتعلم أني ربك ؟! فيقول: نعم ! .. ويتمثل له الشياطين على صورهم فيتبعه)[3].

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٧/١٧٧).
(٢) يراجع الشكل التنظيمي لواقع الشيطان في هذا الكتاب.
(٣) ضعيف: أخرجه ابن ماجة في الفتن من حديث أبي أمام رقم (٤٠٧٧) فيه إسماعيل بن رافع ضعيف جدا.

ويقول الرسول ﷺ في ظهور الدجال: (ويبعث الله شياطين ممثلة للناس)[1].

ولما كان الظهور الشيطاني يعتبر تسلطا، فإنه يرتبط بجهل المجتمع، لأنه بالجهل تكون الذنوب .. التي يكون بها التسلط.

ولذلك يقول ابن تيمية: «وكلما كان القوم أجهل، كان - يعني الخوارق الشيطانية- عندهم أكثر»[2].

أما الجن المسلم فإن له ظهوراً شرعياً في الواقع البشري، وأساس هذا الظهور: هو رضا البشر وإذنهم، ولذلك قال ﷺ: (إن بالمدينة جنا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا، فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ؛ فإنما هو شيطان)[3].

ولأجل أن رضا البشر المسلم، شرط في ظهور الجن المسلم، فإن رسول الله ﷺ أمر بقتل الحية إذا ظهرت بعد عدم الإذن لها، كدليل على أنها ليست جنا مؤمنا.

ومن حقائق الوضع الكوني للجن على الأرض، أن العناصر الكونية تدرك الوجود الكوني للجن، سواء أكان جنا كافرا شيطانا أو جنا مسلما، ولذلك قال هدهد سليمان: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل: ٢٤، العنكبوت: ٣٨) وسئل مسروق: (من آذن النبي ﷺ ليلة استمعوا القرآن ؟! فقال: حدثني أبوك -يعني ابن مسعود- آذنته بهم شجرة)[4].

أما عن الحد الثالث وهو: ارتباط بلاء الشيطان بالصفة الأساسية للبلاء بمعناه العام، وهو العدل، فإن أول حقائق هذا الارتباط هي: ضعف الشيطان .. الذي يساوي ضعف الإنسان.

ضعف الشيطان:

والضعف هو الأصل في موقف الشيطان، وذلك باعتبار أن هذا الموقف نشأ أساسا بمعصية الله عز وجل، فكان من نتائج تلك المعصية .. أن كتب الله عز وجل عليه الدحر: (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا) (الأعراف: ١٨)

حيث أن صفة الدحر تعني: الضعف والهزيمة.

---

(١) مأخوذ من الحديث المتقدم حديث أبي أمام عن ابن ماجة.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية.

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٣٦) من حديث أبي سعيد.

(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ومعنى آذنته: أي أعلمته باستماعهم.

ولأجل أن الضعف هو الأصل في موقف الشيطان، فإن كيده ارتبط بأصل موقفه بدليل قول الله: (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: ٧٦) وقد أراد الله سبحانه أن يؤكد لنا ضعف الشيطان، وذلك من خلال قصة سليمان.

وهذه القصة بالذات فيها تحديد واضح لضعف الشيطان، حيث جاء ثبوت الضعف مع ذكر أقصى قدرات الشياطين وإمكاناتهم العملية، فحقق ذلك الاحتواء التام لأي شعور بقدرات الشيطان، قد يؤثر في اليقين بضعفه، أو يورث في النفس إكبارا له، فقال عز وجل: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (سبأ: ١٢-١٤).

وكما هو واضح من النص، تقرير أن الشياطين كانت مسخرة لسليمان ولا تستطيع الزيغ، وأن هذا التسخير قد سبق قدراتهم، كما تبع ذكر هذه القدرات إثبات جهل الشياطين لموت سليمان، إلى أن دلهم على موته دابة صغيرة ضئيلة من دواب الأرض.

ولعل ما يزيدنا إحساسا بضعف الشيطان، هو أسلوب التفل الذي نمارسه كحرز منه، مثلما قال رسول الله ﷺ:

(الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ .. فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا .. فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ)[1].

فنلاحظ أن الرسول ﷺ قد أمرنا بالتفل، وفي هذا تحقير ..

والتفل عن اليسار، وفي هذا زيادة في التحقير .. ليبلغ التحقير منتهاه .. !

---

(١) رواه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٢) عن جابر رضي الله عنه.

إلى درجة يكاد الإنسان لا يشعر فيها بوجود الشيطان بعد انتقاصه في الإحساس إلى هذا الحد ..!

وقد أراد النبي ﷺ أن يؤكد لنا ضعف الشيطان فقبض عليه وقال: (مَرَّ عليّ الشيطان فأخذته فخنقته، حتى لأجد برد لسانه في يدي، فقال: أوجعتني .. أوجعتني)[1]، وفي رواية: (لولا دعوة أخي سليمان لربطته في سارية المسجد يلعب به الصبيان المدينة).

ولما كان في البلاء معنى العدل من حيث الأصل، فإن أي تجاوز من الشيطان لهذا الأصل يقابله تدخل الملائكة بالصورة التي تقابل هذا التجاوز، تحقيقا لمعنى العدل، ومن هنا كان تدخل الملائكة في غزوة بدر، حدثا مقابلا لتدخل إبليس المباشر في أحداث تلك الغزوة.

والدليل على ذلك هو الربط القرآني بين تدخل الملائكة .. وإبليس في قول الله عز وجل: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: ٤٨).

وهذا في حدود معنى البلاء .. أما في غزوة أحد، فلم تتدخل الملائكة رغم التدخل المباشر لإبليس في الغزوة وصياحه: «أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ»، بدليل حديث عائشة قالت: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ هَزِيمَةً بَيِّنَةً، فَصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ عَلَى أُخْرَاهُمْ، فَاجْتَلَدَتْ أُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ فَنَادَى أَيْ عِبَادَ اللَّهِ، أَبِي أَبِي. فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، قال عروة: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِى حُذَيْفَةَ مِنْهَا بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)[2]، وذلك لأن تدخل إبليس في أُحُد لم يكن بلاء؛ بل كان تسلُّطاً .. بسبب المخالفة التي وقع فيها المسلمون، بدليل قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (آل عمران: ١٥٥).

(١) أخرجه احمد (١/٤١٣) من طريق أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود، وهو منقطع بينهما، ولكن ثبت معناه في الصحيح فيتقوى به.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٦/٢٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

وضعف الشيطان من حيث علاقته بالإنسان له جانبان: جانب العلاقة الكونية .. وجانب التأثير والمواجهة.

ففي جانب العلاقة الكونية:

يكون موقف الشيطان ضعيفا باعتبار النظام الكوني المحدَّد لتلك العلاقة، وذلك أن خروج الشيطان عن هذا النظام بالتمثل، يفقده قدراته الشيطانية، لأخذه قدرة الشيء الذي تمثل به، مثلما تمثل في صورة رجل يسرق بيت المال، فلم يتمكن من الفرار من يد أبي هريرة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول لأبي هريرة كل مرة: (ما فعل أسيرك الليلة).

وكان أبو هريرة يقول: (يا رسول الله! شكا حاجة شديدة وعيالا .. فرحمته)، وفي المرة الأخيرة قال الشيطان لأبي هريرة لكي يتركه: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها)[1].

أما جانب التأثير والمواجهة:

فإن موقف الشيطان يرجع إلى موقف الإنسان من الله سبحانه وتعالى، فإن كان مؤمنا فإنه يقهر شيطانه، كما قال النبي ﷺ: (إن المؤمن ليضني شيطانه كما يضني أحدكم بعيره في السفر)[2].

كما يرجع إلى منهج الإنسان في مواجهة الشيطان، فإن كانت المواجهة بمنهج الله، ضعف الشيطان، وإن كانت مواجهة الإنسان للشيطان بكلام من عند نفسه، فإن الشيطان يتعاظم ويقوى، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن سب الشيطان قائلا: (لا تقل تعس الشيطان .. فإنك إذا قلت تعس الشيطان .. تعاظم في نفسه وقال: صرعته بقوتي، فإذا قلت: بسم الله .. تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من الذباب)[3].

فنرى من الحديث كيف أنَّ الشيطان يتعاظم إذا واجهه الإنسان بنفسه، ولم يواجهه بنصوص الحرز الشرعية.

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (٤/٤٨٧) ومر قريبا.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١٣/٣٢٧) وأحمد (٥/٥٩) والحاكم (٤/٢٩٢) وغيرهم من طريق أبي المليح عن أبيه قال: (كنت رديف النبي ﷺ ..).

وأما إذا التزم المسلم بنصوص الحرز، فإن الشيطان يقر له بالحرز .. انطلاقا من الإقرار الأول لإبليس أمام الله سبحانه وتعالى بقوله: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص:٨٣) ولذلك نرى هذا الإقرار مسجلا في كل نص من نصوص الحرز.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: (يقول الشيطان: حُفظَ مِنِّي سائرَ يومه)[١].

ويقول الشيطان: (كيف لك برجل هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ)[٢]، ويقول: (لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ)[٣].

وهذا هو الوضع الأساسي في الحرز من الشيطان، فإذا كان هناك وضعًا استثنائيًا، فإن الحرز من الشيطان لا يكون بمقتضى الإقرار الأول، بل يكون بمنع الشيطان جبرًا وقهرًا، مثلما تسلسل الشياطين في شهر رمضان، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان سُلسِلَت الشياطين)[٤] . وفي رواية: (صُفِّدَت الشياطين) لأن رمضان فترة استثنائية.

ومثلما أراد الشيطان أن يطعن عيسى في جنبه مثلما يفعل مع أي مولود، فضرب الحجاب، بدليل قول رسول الله ﷺ: (كل مولود يطعنه الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن الحجاب)[٥].

وفي إثبات ضعف الشيطان ضرب رسول الله ﷺ للشيطان مثلا كونيا وهو الذباب فقال: (يتصاغر حتى يكون مثل الذباب)[٦].

والواقع أن هذا المثل ليس مجرد تشبيه بين أمرين ولكنه، مثل للعلاقة بين الشيطان والذباب بصورة كاملة مطلقة، إلى الدرجة التي تصبح بها هذه العلاقة أساسا لحقائق اعتقادية خطيرة للغاية وأولها: أن يدخل الذباب النار .. كما يدخلها الشيطان .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (كلُّ الذباب في النار إلا النحل)[٧].

---

(١) صحيح: أبو داود في كتاب الصلاة ٢/١٣٢ عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٥).

(٣) رواه مسلم في الأشربة رقم (٢٠١٨) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: البخاري في الصوم رقم (٤/١١٢) ومسلم (١٠٧٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري غي بدء الخلق رقم (٦/٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) مر تخريجه بالصفحة السابقة.

(٧) رواه عبد الرازق في مصنفه (٩٤١٥) والطبراني في الكبير (١٣٢٨٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وعندما يبلغ المثل هذا الحد الاعتقادي .. فإننا يجب أن نرجع إلى مادة ذباب في اللغة .. لتكون المفاجئة العظمى في العلاقة بين الشيطان والذباب هي: أن اللفظ ومشتقاته لا تخرج جميعها عن معاني الشيطنة ..!

١ - ذباب: من الذباب، والذب هو الطرد والدفع والمنع، وكلها عوامل متعلقة بالشيطان تعلقا مباشرا في قوله سبحانه: (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا) (الأعراف: ١٨) مذءوما: معناها الطرد والخزي والذم.

٢ - الذباب: الشر، فلان أصاب عن فلان ذباب، أي شر، وأرض مذبوبة: موحشة.

٣ - ذبيبان: كلمة تقال في الطعام الذي لا خير فيه.

٤ - الذبذبة والذباب: الأجراس، أشياء تعلق بالهودج أو رأس البعير للزينة، والواحد ذبذب أي جرس.

٥ - تذبذب في الهواء: تحرك واضطرب، من الاضطراب كما في الحديث: (كأني أنظر إلى يديه تتذبذبان) أي تضطربان.

٦ - متذبذب: متردد ومتحير، من الحيرة.

٧ - رجل محشي الذباب: أي الجاهل.

٨ - ذبينا ليلتنا: تعبنا وشقينا.

٩ - الذباب: الطاعون، والملاحظة المهمة هنا: أن الذباب سبب لمرض الطاعون، وهو المرض الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: (الطاعون .. وخز أعدائكم الجن)[١].

١٠ - الذباب: الجنون، ذب الرجل إذا جن.

وأخيرا نأتي إلى الاشتقاق الأخطر: وهو الذئب ..

ومنه ذؤوبان الناس: أي الصعاليك واللصوص، وذَؤُب يذْؤُب ذُؤابة: خبث.

١١ - الذبذب: سوءة الرجل ولسانه، وهما ما ورد فيها قول رسول الله ﷺ: (مَنْ حَفظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْه وفَخذَيْه فَلَهُ الجَنَّةُ)[٢]، وقوله: (اخْزُنْ لِسَانَكَ إلا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّكَ بِذَاكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ)[٣].

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٠٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٥٨٢٧) عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وجود إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٢/٢٨٣، ١٠٠٠) ، والخطيب (٧/٣٩٢) . وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الصغير (٢/١٥٦، ٩٤٩) قال الهيثمى (١٠/٣٠١) : فيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وقد وثق هو وبقية رجاله.

١٢ - المتذائب: المضطرب، وفي حديث عدي رضي الله عنه: (خرج منكم جنين متذائب) مضطرب ضعيف، والمذؤوب: الفزع.

ويقال للذي أفزعه الجن: تذاءبته أو تذاعبته.

ومن أدلة الأحاديث المتضمنة لمادة ذباب ومشتقاتها: (يتصاغر الشيطان حتى يكون مثل الذباب)[١].

(عن وائل بن حجر قال: أتيت النبي ﷺ ولي شعر طويل فلما رآني رسول الله ﷺ قال: ذباب! رجعت فجززته، ثم أتيته من الغد فقال: إني لم أعنك، وهذا أحسن)[٢].

قال الخطابي: (الذباب الشؤم، وقيل الشر الدائم) وهو ما جاء في سنن أبو داود بكتاب الترجل.

---

(١) سبق تخريجه قريبا.
(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

والحقيقة الثانية في التصور القدري للقضية هي قدر التسلط:

ونقدم لمعرفته بأمرين:

الأول: كما أن البلاء بالشيطان يكون بقدر الله، فإن التسلط يكون بقدره كذلك، وإن كان قد وقع بسبب الذنب الذي يفعله الإنسان.

وإيماننا بقدر التسلط ضرورة اعتقادية تثبت بها إحاطة الله بكل شئ، وأنه لا يكون شئ إلا بإرادة الله وإذنه ..

وقد أكد القرآن هذه الحقيقة بنصوص كثيرة منها قول الله: (وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) (البقرة: ١٠٢)

وقول الله عز وجل: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف: ٣٦).

وفي قول الله: (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: ١٢٥)

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «الرجس: الشيطان».

وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ٢٧).

وقوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً) (مريم: ٨٣).

كما يؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: (أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته)[1]، وقوله: (رب الشياطين وما أضلت)[2].

الثاني: أن التسلط بهذا المعنى القدري تحقيق لعدل الله عز وجل من حيث السبب، باعتبار عدل البلاء الذي تحقق به التسلط، ومن حيث النتيجة، باعتبار الواقع الفعلي للتسلط.

ويفسر الإمام ابن تيمية تلك الحقيقة بقوله: «وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن يخرج عن الكتاب والسنة، وهم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم، وهم على مذهبهم، والجن فيه الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنس كافرا أو فاسقا أو جاهلا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال» .. ويقول: «ولا بد من أن يكون في أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا أو من الإثم ما يناسب حال الشياطين

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي في الدعوات رقم (٣٥٢٣) عن سليمان بن بريدة عن أبيه وسنده صحيح.

المقترنة بهم، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين، ولهذا يقول الضحاك: الذنب سبب النسيان، وبئس لأحدكم أن يقول: (نسيت كيت وكيت .. بل هو نُسِّي)»[1]. أ . هـ .

والمثال الذي ذكره ابن تيمية عن الضحاك في تعليل النسيان، إنما يريد أن يؤكد به دقة التناسب بين التسلط والذنب.

وبعد تقديم هاتين الحقيقتين، نعرف معنى التسلط بثلاثة مقاييس:

(١) **الولاية**: والمقياس الأساسي للعلاقة بين تسلط الشيطان وذنب الإنسان هو مفهوم الولاية، فليس بمجرد وقوع الإنسان في ذنب يصير من أولياء الشيطان لأن هذه الولاية لا تكون إلا بمتابعة الشيطان وموالاة طاعته حتى تصير قاعدة الخضوع وقبول التكليف عند الإنسان تابعة للشيطان، أما إذا كان خضوعه وقبول تكليفه من الله ثم أطاع الشيطان في ذنب من الذنوب، لا يكون هذا الذنب شركا .. وفي ذلك تصحيح للخطأ القائل بأن كل معصية شرك، تأسيساً على أن المعصية طاعة للشيطان، وطاعة الشيطان عبادة له، وعبادة الشيطان شرك بالله.

وعلة هذا الخطأ: هي تحديد معنى العبادة .. بمجرد الطاعة، ولكن الفهم السلفي للعبادة هو: أنها غاية الخضوع مع غاية الحب، ولذلك يقرر النبي ﷺ في حديث «سيد الاستغفار» قاعدة الخضوع وقبول التكليف من الله عز وجل قبل ذكر الذنب فيقول: (اللهم أنت ربي .. لا إله إلا أنت .. خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت).

وعند هذا الحد تكون قد تقررت قاعدة الخضوع وقبول التكليف .. ثم يبدأ ذكر الذنب: (أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي .. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[2].

ولذلك فإن ولاية العبد للشيطان لا تتحقق بمجرد الذنب، لأنه من الممكن أن يقع الذنب فيعفو الله عنه، أما إذا وقع العذاب بالذنب الذي لا يغفره الله وهو الشرك .. فستحقق بذلك ولاية الشيطان في الإنسان المعذب بصفة نهائية ..

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(٢) البخاري في الدعوات (١١/٩٧) عن شداد ابن أنس رضي الله عنه.

ومن أجل هذا المعنى جاء قول إبراهيم لأبيه بما يفيد التحذير من عذاب الله حتى لا تتحقق فيه ولاية الشيطان، وذلك في الآية: (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) (مريم: ٤٥).

ولعلنا نلاحظ من الآية أن العذاب سيكون من الرحمن، مما يؤكد أن استحقاق العذاب لن يكون إلا بالعدل الكامل.

وارتباط الولاية بالعذاب هو في الحقيقة أساس في فهم قول الله: (لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ) (الأعراف: ١٨).

واتفاقا مع المعنى القدري للتسلط، فإن الله بقدره جعل الشياطين لا تتمكن من فتنة الناس إلا من وجب عليه العذاب ..

وهذه الحقيقة هي معنى قول الله سبحانه: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) (الصافات:١٦١- ١٦٣).

حيث قال الحسن في تفسير الآية: «إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عز وجل عليه أن يصلى الجحيم».

وليس أدل على اعتبار العذاب مقياسا للولاية، من أن يكون (إبليس هو أول من يُكسَى حلة في جهنم)[(1)] كما قال عليه الصلاة والسلام.

(٢) الاستحواذ: وهو مقياس آخر للعلاقة بين التسلط والذنب، حيث أنه بمقدار الذنب ينال الشيطان من الإنسان نصيبا ..

بدليل قول عبد الله بن مسعود: (لا يجعلن أحدكم للشيطان من نفسه جزءا .. لا يرى إلا أن حقا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه، أكثر ما رأيت رسول الله ﷺ ينصرف عن شماله)[(2)].

فإذا توالت الذنوب .. كثر نصيب الشيطان من الإنسان، حتى يكون الاستحواذ، وهو أن يصير الإنسان بأكمله نصيبًا للشيطان، وهو معنى قول الله عز وجل: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) (المجادلة: ١٩).

وللاستحواذ مقياس يوازيه .. وهو المسخ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/١٥٢) من طريق علي بن زيد عن أنس مرفوعا.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢/٣٣٧) ومسلم رقم (٧٠٧) عن ابن مسعود موقوفا.

(٣) المسخ: ومعنى المسخ مرتبط بحقيقتين: انتفاء الصفة الإنسانية .. وتحقق صفة القبح.

وانتفاء الصفة الإنسانية يكون بانتفاء حقيقة العبودية لله عز وجل ..

وبهذا المعنى جاءت كل الآيات التي تعقد الشبه بين أولياء الشيطان والدواب .. مثل قول الله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف: ١٧٥- ١٧٦) وبنفس الدقة التي في العلاقة بين تسلط الشيطان وذنب الإنسان، يتحقق انتقاص الصفة الإنسانية بانتقاص العبودية. ومن مؤشرات هذه الدقة قول رسول الله ﷺ في الالتفات في الصلاة: (هُوَ اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاةِ الْعَبْدِ) ثم تشبيه هذا الالتفات بالتفات الثعلب كقوله: (فَلاَ يَلْتَفِتْ كَالتِفَاتِ الثَّعْلَبِ)[١].

وأصبح انتقاص عبادة الإنسان بمجرد خلسة يختلسها الشيطان تعني قيام وجه شبه بين الإنسان والدواب، ومن هنا كان تشبيه أي انحراف في أحكام الصلاة وكيفية العبادة بأفعال الدواب، مثل التحذير من عدم المتابعة الصحيحة للإمام بقول رسول الله ﷺ: (أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ .. أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ ، أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ ..؟)[٢].

وفي النهي عن رفع الأيدي في اتجاه التسليم بقوله: (مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ ؟! اسْكُنُوا فِي الصَّلاةِ)[٣].

والتحذير من الخطأ في كيفية السجود بقوله: (إذا سجد أحدكم فلا يَبرُكْ كما يَبرُكُ البعير ، يضعُ يديه قبل ركبتيه)[٤].

(١) صحيح :أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣١١) عن أبي هريرة وصححه الشيخ شاكر رقم (٨٠٩١).
(٢) متفق عليه: البخاري في الأذان (٢/١٨٢) ومسلم في الصلاة (٤٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في الصلاة رقم (٤٣٠) عن جابر بن سمرة. وخيل شمس هي التي لا تستقر، بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها، والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام.
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٣/٧٠) والنسائي (٢/٢٠٧) والترمذي عن أبي هريرة (٢٦٩)، قال الشيخ شاكر في شرح الترمذي: والظاهر من أقوال العلماء في تعليل الحديثين أن حديث أبي هريرة هذا صحيح، وهو أصح من حديث وائل.

والتحذير من بسط اليد على الأرض أثناء السجود بقوله: (اعتدلوا في سجودكم .. ولا يبسط أحدكم ذراعيه بسط الكلب)[1].

والتحذير من السرعة في الصلاة وعدم الاطمئنان وتشبيه ذلك بالغراب والديك[2].

والحديث الجامع لأبي هريرة في النهي عن الالتفات، والسرعة، وخطأ السجود بقوله: (نهاني خليلي أن أنقر في صلاتي نقر الديك، وأن التفت التفات الثعلب، وأن أقْعي كإقعاء القرد)[3].

فإذا كان هذا بمجرد الانحراف في أحكام العبادة، فإن انتفاء العبودية لله أصلا لا تعني حقيقةً إلا انتفاء الصفة الانسانية انتفاءً كاملاً !

وصفة القبح تأتي باعتبارها المعنى الموافق لتحقق المسخ، والقبح في الشيطان ذاته بمعصية الله عز وجل، حتى صار هذا القبح أمرًا مستقرًا في النفوس البشرية عن الشيطان دون أن يروه .. حتى اعتبر القران هذا القبح مقياسا لكل قبح، فقال الله عز وجل في شجرة الزقوم، وهي الشجرة الملعونة التي تخرج في أصل الجحيم: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) (الصافات:٦٥)

وإذا كان المسخ والقبح لا يغيران من الشكل الإنساني لأولياء الشيطان .. فإن هذا لا يعني انتفاءه كحقيقة؛ لأن عبادة الطاغوت هي التي تتضمن في معناها تحقق المسخ، إذ إن أكبر فوارق المقام التي تكون بين العبد والمعبود حينما يكون الشيطان الرجيم المذءوم المدحور الملعون .. هو المعبود !

فكيف يتحدد مقام ووجود من يعبده ؟، وماذا يمكن أن يقال في هذا الوجود إلا المسخ الحقيقي والضياع المطلق ؟!

ومن هنا جاء قول الله عز وجل: (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا) (المائدة: ٦٠) فيتبين من الآية أن عبادة الشيطان مسخ، مثلما يتحول الإنسان إلى قرد أو خنزير، لأنه ينتهي بنقصه إلى فقد إنسانيته !

---

(١) متفق عليه: البخاري في الصلاة (٢/٣٠١) ومسلم رقم (٤٩٣) عن أنس.

(٢) كما ورد في سنن الدرامي: باب النهي من الافتراش ونقرة الغراب. وفي مسند أحمد (٢/٣١١) النهي عن نقرة الديك أبى داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣١١/٢٥٦) من حديث أبي هريرة.

وتحقيق صفة القبح في المسخ تأتي باعتبارها المعنى المقابل لتحقق الجمال بعبادة الله ورضاه ..

بدليل ازدياد أهل الجنة حسنًا وجمالاً عند تحقق رضوان الله عليهم أبدا .. إذ يقول النبي ﷺ في أهل الجنة: (.. فيطلع الله عليهم إطلاعة فيقول: أرضى عنكم فلا أغضب عليكم بعد ذلك أبدا .. فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً .. فيقول لهم أهلوهم: لقد ازددتم حسنًا وجمالاً، يقولون: لقد رأينا ربنا)[١].

أما الحقيقة الثالثة في التصور القدري للقضية .. فهي قدر الحرز:

ومعنى الحرز هو امتناع الشر والضرر، ولذلك ارتبط الحرز من الشيطان بالأساليب المانعة للشر والضرر، فالله عز وجل لا يضر مع اسمه وكلماته شئ، بدليل قول رسول الله ﷺ: (ما من عبد يقول في صباح كل يوم، أو مساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .. ثلاث مرات .. فيضره شيئ)[٢].

وبكلمات الله يمتنع الشر بدليل قول رسول الله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)[٣].

ثم تأتي نصوص الحرز المتضمنة لامتناع ضرر الشيطان، منها:

قول رسول الله ﷺ: (إذا أتى احدكم أهله فقال: بسم الله .. اللهم جَنِّبْنَا الشيطان، وجَنِّبِ الشيطان ما رزقتنا، لم يضره الشيطان)[٤].

وقوله: (إذا ولج الرجل بيته فقال: اللهم إني أسألك خير المولَج وخير المخرَج، بسم الله وَلَجنا .. بسم الله خَرَجنا .. وعلى ربنا توكلنا .. ثم ليسلم على أهل منزله)[٥].

وما روي عنه ﷺ: (اللهم رب العرش العظيم .. والوجه الكريم .. ذا المن القديم .. ولي الكلمات التامات .. والدعوات المستجابات .. عافي فلان -ويذكر اسمه- من أعين الإنس .. وأنفس الجن)[٦].

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٢٩) عن أبي سعيد.
(٢) صحيح أخرجه الترمذي رقم (٢٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) والحاكم (١/٥١٤) من حديث عثمان وسنده صحيح.
(٣) صحيح: سبق تخريجه.
(٤) متفق عليه: البخاري (٦/٢٢٨) ومسلم رقم (١٤٣٤) عن ابن عباس.
(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٣/٤٣٨) من حديث أبي مالك الأشعري وسنده صحيح.
(٦) أورده صاحب كنز العمال برقم (٢٨٥٤٦).

وقوله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله التامة .. من كل شيطانٍ وهامَّةٍ .. ومن كل عَيْنٍ لامَّة)(1).

ثم تأتي أهم نصوص الحرز المتضمنة لامتناع شر الشيطان بكلام الله، منها:
سورة الإخلاص، والمعوذتين، وسورة البقرة، وأوآخرها، وآية الكرسي منها، وأوائل سورة الصافات.

ونصوص الحرز تقوم على عدة حقائق:

١ – حقيقة الكمال:

ودليلها ترادف كلمة «التامات .. التامة» في قول رسول الله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) وقوله: (وليّ الكلمات التامات) وقوله: (أعوذ بكلمات الله التامة).

ومن هنا جاءت كلمات الله الواردة .. كنصوص للحرز باعتبار تلك الحقيقة.

ففي التسمية باسم الله: أن الإله .. هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى.

وفي سورة الإخلاص .. يفسر ابن عباس الصمد بقوله: (السيد الذي كمل في سؤدده .. والشريف الذي كمل في شرفه .. والعظيم الذي كمل في عظمته .. والحليم الذي كمل في حلمه .. والغني الذي كمل في غناه .. والجبار الذي كمل في جبروته) ثم أخذ يذكر بقية الأسماء والصفات ويفسر الصمد بأنه الكمال فيها.

وفي آية الكرسي: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) الذي له كمال الحياة .. لأن حياته من لوازم ذاته، فهي أزلية أبدية.

وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له .. من العزة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة وغيرها.

وفي آية الكرسي: (القيُّوم) ومعناه: قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه غنىً مطلقًا، لا تشوبه شائبة حاجة أصلا، لأن غناه سبحانه ذاتي، وبه قامت الموجودات كلها، فهي فقيرة إليه فقرا ذاتيًا، بحيث لا تستغني عنه لحظة،

---

(1) رواه البخاري والترمذي وأبو داود.

فهو الذي ابتدأ إيجادها على هذا النحو من الإحكام والإتقان، وهو الذي يدبر أمورها ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها، وفي بلوغ الكمال الذي قدره لها .. وهذا الاسم متضمن لجميع صفات الكمال الفعلية .. كما أن اسمه الحي متضمن لجميع صفات الكمال الذاتية ..

ولهذا ورد أن **الحي القيوم** .. هو اسم الله الأعظم .. الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب.

ثم أعقب ذلك بما يدل على كمال حياته وقيوميته فقال: (لا تأخذه) أي: لا تغلبه، (سِنَةٌ) أي نعاس (وَلاَ نَوْم)، فإن ذلك ينافي القيوم؛ إذ النوم أخو الموت، ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالم العلوية والسفلية، وأنها جميعًا تحت قهره وسلطانه فقال: (لَهُ مَا فِي السَّمَوَات ومَا فِي الأَرْض) ثم أردف ذلك بقوله: (مَن ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاء). بما يدل على تمام ملكه، وهو أن الشفاعة كلها له فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ): دليل على كمال سلطانه ..

(وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا): دليل على كمال قوته ..

(وَهُوَ الْعَلِيُّ): العلو المطلق .. إذ كان له كل صفة كمال .. وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

(الْعَظِيمُ): وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه.

٢ — حقيقة التقابل:

هي أصل في الاستعاذة بدليل قول رسول الله ﷺ: (أعوذ بالله العظيم .. وبوجهه الكريم .. وسلطانه القديم.. من الشيطان الرجيم)[1].

حيث جاء ت صفة العظمة لله .. وكرم الوجه .. وقدم السلطان .. مقابلة لصفة الرجم للشيطان، والتي تعني التحقير والمهانة، والدحر والطرد.

وفي حقيقة التقابل جاء من أسماء الله الواردة في الحرز من الشيطان .. اسم السلام .. ودليل ذلك قول الله عز وجل: (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (مريم:٣٣)، حيث جاء في تفسير الآية: (.. أي لا يلحقني الشيطان).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢/١٣٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

واسم السلام .. فيه التقابل مع الشيطان باعتبار أن الحرب هي المعنى الأساسي لتلك الأعمال بدليل قول الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (البقرة: ٢٠٨)

كما جاء في معنى التقابل .. ذكر الفلق: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق: ١) حيث إن الفلق يتضمن معنى الخير، باعتبار أن معنى الفلق يكون بالزرع والنعم والمنافع: (إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) (الأنعام: ٩٥) وهو ما يقابل صفة الضرر من الشيطان، كما يتضمن الفلق معنى النور باعتبار أن الفلق يكون بالإصباح: (فَالِقُ الإِصْبَاحِ) (الأنعام: ٩٦) وهو ما يقابل صفة الظلمة [1] عند الشيطان.

وقد تأكدت حقيقة التقابل كحرز من الشيطان في سورة كاملة من نصوص الحرز؛ وهي الصافات .. حيث بدأت السورة بذكر الملائكة وهم الخلق المقابل للشيطان: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا . إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) (الصافات: ١-٤).

وجاء ذكر الكواكب التي خلقها الله باعتبارها حفظا من كل شيطان مارد: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) (٦،٧)

ثم جاء في السورة وصف عباد الله الذين أقر إبليس بعدم قدرته عليهم، بالصفة المحققة للحرز من الشيطان: (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٤٠)

ولذلك جاء ذكرهم في موضع الاستثناء من العذاب بنفس الصفة ..

فالموضع الأول: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (٣٨-٤٠)

والموضع الثاني: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (٧٢-٧٤)

والموضع الثالث: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (١٢٧، ١٢٨)

والموضع الرابع: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (١٥٨-١٦٠)

(١) لقول رسول الله ﷺ: (إذا كان جنح الليل ، فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ) رواه البخاري ومسلم.

ثم جاء **الموضع الخامس**، وهو موضع تمني الكفار أن يكونوا من عباد الله المخلصين: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (الصافات: ١٦٧ – ١٦٩)

كما جاء سورة الصافات تسجيل لانتصار إبراهيم على الشيطان عندما أمره الله بذبح ابنه اسماعيل: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) (الصافات:١٠٢) [١].

وقد مر تفسير: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (مريم:٣٣) وكان معناها أي لا يلحقني الشيطان، وبهذا المعنى جاء السلام على الأنبياء في خمسة مواضع من سورة الصافات:

(سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) (٧٩)، (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) (١٠٩)، (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) (١٢٠)، (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) (١٣٠)، (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) (١٨١).

ثم ختمت السورة كما بدأت بذكر الملائكة بوضعهم التنظيمي ووظيفتهم الأساسية الصافون .المسبحون: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ). (الصافات: ١٦٤–١٦٦) [٢].

وكذلك جاء قول الكفار للشياطين: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) (الصافات: ٢٧-٢٨)، وهي حقيقة أساسية في الغواية تبعها ذكر حقيقة التماثل بين غواية الكفار والشياطين: (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) (الصافات: ٣٢).

---

(١) يقول ابن عباس: (إن الشيطان عرض لإبراهيم لما أمره الله بالنسك وفي العقبة ومني وكان يرميه بسبع جمرات)(*) ولذلك يربط الحديث بين الحرز من الشيطان وبين عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل في قول رسول الله ﷺ : من قال لا اله آلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علي كل شئ قدير .. وفي اليوم مائة مرة كانت له حرزا من الشيطان وكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل (**) والآية من سورة الصافات :١٠٢.

(*) صحيح : رواه أحمد في المسند (١/٢٩٧). قال الشيخ شاكر إسناده صحيح (٤/٢٤٧) شرح المسند.

(**) رواه مسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٩٣) عن أبي أيوب.

(٢) وهي نفس الصفة الواردة فيهم أول السورة ، وهذه الصفة حرز من الشيطان بدليل قول رسول الله ﷺ في تحقيقها: (جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) (*) وقال: (تراصوا فإن الشيطان يقوم في الخلل)(**) .

(*) رواه مسلم في المساجد رقم (٥٢٢) عن حذيفة رضي الله عنه.

(**) أخرجه نحوه أبو داود (٢/٣٦٧).

ثم حقيقة التماثل بين الأجيال الكافرة بالتقليد: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ) (الصافات: ٦٩)

ثم حقيقة الاستكبار وهو عمل الشيطان: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) (الصافات: ٣٥)

ثم جاء ذكر القرين وهو التعبير الاصطلاحي في القرآن الكريم عن صاحب الإنسان من الشياطين: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) (الصافات: ٥٠،٥١)

ثم ذكرت شجرة الزقوم باعتبارها أقرب شبها برؤوس الشياطين: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) (الصافات: ٦٥)

٣ – حقيقة التناسب:

وكما أن حقيقة التقابل في نصوص الحرز هي ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله التي تتقابل مع الشيطان ..

فإن نصوص الحرز تحقق التقابل بما يتناسب مع العلاقة بين الإنسان والشيطان في ذاتها مثل قول الله: (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٦) لأننا لا نشعر بحركة الشيطان، فيتناسب مع هذا الوضع ذكر اسم السميع العليم من أسماء الله الحسنى.

ويقدم لنا ابن القيم دليلا على دقة التناسب في نصوص الحرز مع طبيعة العلاقة بين الإنسان والشيطان فيقول: «فتأمل حكمة القرآن .. كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ: (السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) في الأعراف وحم والسجدة، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويُرَون بالأبصار بلفظ: (السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) في سورة حم المؤمن فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (غافر: ٥٦) لأن أفعال هؤلاء معاينة ترى بالبصر، وأما نزغ الشيطان: فوساوس وخطرات يلقيها في القلب .. يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير فغتفلاىي باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية» أ.هـ.

ومع التناسب مع طبيعة العلاقة .. يأتي التناسب مع طبيعة الإنسان باعتباره طرف في تلك العلاقة.

ولذلك يقول ابن القيم في قوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ) (الناس: ١-٣) «فذكر ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم، ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان». ثم وَجَّه مناسبتها لهذه الاستعاذة، وذكر الإضافات الثلاث: (رب الناس . ملك الناس . إله الناس) باعتبار التناسب، فيقول ابن القيم: (لأنهم المستعيذون بربهم .. الذي يصونهم ويملكهم .. الذي يأمرهم وينهاهم .. وإلههم الذي يعبدونه).

وتتميز نصوص الحرز بأهمية خاصة تتفق مع قيمة الهدف المراد تحقيقه منها، وهو النجاة من الشيطان ..

ففي المعوذتين قال رسول الله ﷺ: (ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ))[1] وفي رواية محمد ابن إبراهيم التيمي عن عقبة أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ المتعوذون؟ قلت بلى! قال: (أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق)[2]، (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ).

وفي خواتيم سورة البقرة قال ﷺ: (إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق - لفظ الترمذي: السموات والأرض - بألفي عام .. أنزل منه آيتين .. ختم بهما سورة البقرة .. فلا يقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان)[3].

وحتى في أسماء الله .. فإن الاسم الذي يحقق الحرز من الشيطان هو اسم الله الأعظم كما قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم) .. (وَإِلَهُكُم إِلَه وَاحِدٌ ..)[4].

ولذلك كانت نصوص الحرز هي أفضل صيغ التعوذ من الشيطان ..

ويقول النبي ﷺ في هذا المعنى: (ما تعوذ المتعوذون بمثلها)[5] يعني المعوذتين.

---

(١) مسلم من حديث عقبة بن عامر رقم (٨١٤).

(٢) لفظ النسائي (٨/٢٥١) في سننه من حديث عقبة بن عامر.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٨٢٢٢)، والحاكم (١/٥٦٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٤٧٨) عن أسماء بنت زيد، وكذا رواه أبو داود (٣/٣٦٤) في الصلاة، وحسنه الألباني.

(٥) سبق تخريجه.

(وكان ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان .. فلما نزلت أخذهما وترك ما سواهما)[1].

وليس معنى الحرز هو مجرد البعد عن تأثير الشيطان؛ إذ إن لهذا البعد درجات مختلفة، وإثبات هذا المعنى يكون من خلال عدة حقائق:

- فهناك من لم يمسه الشيطان أصلا .. وهو أعلى درجات الحرز مثال: عيسى بن مريم ..

- وهناك من يفر منه الشيطان .. كعمر بن الخطاب، وبالطبع فإن هذه الدرجة أقل من الدرجة الأولى ..

- وهي في نفس الوقت أعلى من درجة من لا يقربه الشيطان، ولكنه لا يفر منه .. مثال عمار بن ياسر[2].

واختلاف درجات الحرز يتبع درجة الالتزام بنصوص الحرز والقدر الذي يكون به التحرز بتلك النصوص. فسورة البقرة مثلا ورد في أنها - كحرز من الشيطان - ثلاثة نصوص:

النص الأول: الذي يثبت أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة كاملة لا يدخله الشيطان.

ونص آخر: يثبت أن البيت الذي تقرأ فيه خواتيم سورة البقرة يفر منه الشيطان، وبالطبع فإن الدرجة الأولى التي لا يدخل فيها الشيطان أصلا أعلى من الدرجة التي يفر فيها الشيطان بعد أن يدخل ..

وهذه الدرجة أعلى من الدرجة التي يكون فيها الشيطان في البيت، ولكنه لا يستطيع التأثير في أهله .. وهو ما ورد في آية الكرسي.

والحرز إما أن يكون للنجاة من التسلط قبل وقوعه حتى لا يقع، وإما ان يكون للنجاة من التسلط بعد وقوعه لكي يرفع، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[3].

(١) صحيح: رواه الترمذي في الطب (٢٠٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري وأخرجه ابن ماجة أيضا (٣٥١١).
(٢) حديث قال فيه أبو الدرداء: (ألم يكن فيكم من أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ .. يعني عمار) رواه البخاري.
(٣) مسلم من حديث عثمان ابن أبي العاصي رقم (٢٢٠٢).

و(ما أجد) .. هو التسلط الواقع، و(ما أحاذر) .. هو التسلط الذي يخشى وقوعه.
والتسلط الواقع له درجات .. ومن هنا تتناسب درجة الحرز مع درجة التسلط ..

فيكفي المتقين أن يتذكروا إذا مسهم طائف من الشيطان، لقول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١)

والدقة بين أساليب الحرز ودفع التسلط من أهم حقائق الحرز ..

فمن زيد بن أرقم قال: (سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود: فاشتكى لذلك أياما. قال: فأتاه جبريل فقال: إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا، فأرسل رسول الله ﷺ عليًّا فاستخرجها، فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال. فما ذكر ذلك لليهود، ولا رآه في وجهه قط)[1] وفي رواية: (كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها).

وفي حديث عقد الشيطان على قافية ابن آدم: (إذا قام وذكر الله انحلت عقدة .. فإذا توضأ انحلت العقدة الثانية .. فإذا صلى انحلت عقده الثلاث .. فأصبح نشيطا طيب النفس .. وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)[2].

ومن حقائق الحرز: الاتجاه نحو الأحسن .. باعتبار أن أعمال الشيطان متجهة نحو الشر المطلق .. وليست مجرد الشر، بدليل قول الله عز وجل: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (النساء: ٦٠).

أما الدليل على وجوب الاتجاه نحو الأحسن، فهو قول الله سبحانه وتعالى: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء: ٥٣).

وقوله عز وجل: (وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٤-٣٦)

(١) أخرجه النسائي (٧/١١٣) من حديث زيد بن أرقم وأصله في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (١٠/٢٣٢).
(٢) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق ٦/٣٣٥ ومسلم في المسافرين ٧٧٦

وما يترتب على ضرورة الاتجاه نحو الأحسن في أساليب الحرز هو الزيادة، ولذلك يقول الرسول ﷺ: (الشيطان بعيد عن الاثنين، وهو عن الثلاثة أبعد)(١) ويقول: (الراكب شيطان .. والراكبان شيطانان .. والثلاثة ركب)(٢).

ويقول: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شئ قدير .. في اليوم مائة مرة كانت له حرزا من الشيطان، ولم يأت أحد يوم القيامة مثله إلا رجل زاد عليه)(٣).

ولذلك يعلمنا النبي ﷺ أن تكون عندنا همة الارتفاع إلى أعلى الجنان، وأوسط الجنان، وسقفها عرش الرحمن(٤).

الحرز باعتبار مادة خلق الشيطان:

نعلم أن الشيطان خلق من النار: (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ)(٥) (الأعراف: ١٢).

وأن أعماله هي الخطأ الذي يفعله الإنسان .. ولهذا قال موسى عندما قتل القبطي بطريق الخطأ: (هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ) (القصص: ١٥).

ومن هنا كانت الخطيئة نار .. لأن هناك ارتباطا بين الأفعال، وطبيعة فاعلها، ومادة خلقه.

ومثال ذلك قول رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء خيرا .. فإنهن خلقن من ضلع أعوج .. وإن أعوج الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته .. وكسرها طلاقها)(٦)، حيث تأكد ربط النبي ﷺ بين سلوك المرأة، وبين خلقها من ضلع أعوج ربطا واقعيا.

ولذلك جاءت النصوص تثبت صراحةً نارَ الخطيئة .. فيقول النبي ﷺ: (والصدقة تطفئ الخطيئة)(٧).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد ١/١٨ عن عمر والترمذي في الفتن عن ابن عمر (٢١٦٥).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/٢١٤/١٨٦) وأبو داود (٧/٢٦٦) والترمذي (١٦٧٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٣) متفق عليه: في الدعوات (١١/٢٠١) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩١) عن أبي هريرة.
(٤) البخاري في الجهاد من حديث أبي هريرة (٦/١١).
(٥) ومن الارتباط بين الشيطان ومادة خلقه أن تكون النار بذاتها عدوة للبشر، بدليل قول النبي ﷺ: (إن هذه النار عدو لكم) متفق عليه.
(٦) أخرجه البخاري في النكاح (٩/٢٥٣) ومسلم (١٤٦٨) عن أبي هريرة.
(٧) صحيح: أحمد في المسند (٣/٣٩٩) والترمذي (٦١٤) عن كعب بن عجرة وابن ماجة (٢٩٧٣) وسنده صحيح.

وأصبح الارتباط بين أفعال الشيطان ومادة خلقه قاعدة أساسية من قواعد الحرز؛ حيث صار الماء وهو الذي يطفئ النار هو المادة التي تبطل أثر الشيطان فقال سبحانه: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) (الأنفال: ١١).

وقد وضح من النص أن الحرز بالماء جاء باعتبار آخر زيادة .. على أن الشيطان خلق من النار، وهو أن عمل الشيطان رجز، ورجز الشئ: أقذره، ولهذا صارت الخطيئة قذر [١] تتطلب الماء للطهر منها.

أما أحاديث رسول الله ﷺ الدالة على ذلك فهي قوله: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) [٢] وفي رواية: (إذا غضب أحدكم فليستنثر بالماء ثلاثا).

كما بين النبي ﷺ أن الوضوء هو الذي يحل العقدة الثانية من العقد الثلاث التي يعقدها الشيطان على قافية ابن ادم إذا هو نام فيقول: (فإذا توضأ انحلت العقدة الثانية).

كما أوصى النبي ﷺ بالاستنثار ثلاثا عند الاستيقاظ من النوم قائلا: (إذا قام أحدكم من نومه فليستنثر ثلاثا، فإن الشيطان يبيت في خياشيمه) [٣].

وإذا كانت هذه النصوص تثبت الحرز في الماء باعتبار التقابل الذي بينه وبين النار، فإن هناك نصا يثبت هذا التقابل باعتبار أن إبليس قد خلق من نوع معين من النار؛ ليتحقق التقابل كاملا ودقيقا ..

فقد ثبت بالقرآن أن إبليس قد خلق (مِن نَّارِ السَّمُومِ) (الحجر: ٢٧) ومن (مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) (الرحمن: ١٥).

---

(١) جاء التعبير عن هذه الحقيقة في قول النبي ﷺ في امتناع آل النبي عن أخذ الصدقة: (إنها أوساخ الناس)(*) باعتبارها كفارة لذنوبهم، وفي المثل الذي ضربه النبي لكفارة الذنوب بالصلاة فقال: (أرأيتم لو كان أمام باب أحدكم نهر يغتسل فيه خمس مرات .. هل يبقى على جسده من درن؟!) (**): أي وسخ وقذر.

(*) أخرجه مسلم في الزكاة رقم (١٠٧٢).

(**) متفق عليه: البخاري (٢/١١) ومسلم في المساجد (٦٦٧) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (١٣/١٤١) وأحمد في المسند (٤/٢٢٦)، وفيه مجهولان: عروة بن محمد وأبوه.

(٢) سبق تخريجه.

ونار السموم .. والمارج من النار: هو أعلى جزء من النار إذا التهبت.

فكان نص الحرز هو قول رسول الله ﷺ: (اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد)[1] حيث إن البرد هو الثلج الخفيف الذي يسقط من أعلى، فيقابل البرد هنا اللهب المرتفع في النار التي خلق منها إبليس .. وبذلك يتحقق التقابل التام مع الشيطان: برودة الثلج .. المقابلة لحرارة النار، والماء .. المقابل للنار، والبرَد .. وهو المرتفع من الثلج .. المقابل للمارج .. وهو المرتفع في النار.

ومن أهم أدلة الحرز بالماء من الشيطان .. هو أمر النبي ﷺ بالوضوء بعد أكل لحم الجزور -الإبل- بقوله: (من أكل لحم جزور فليتوضأ)[2] ..

والعلاقة بين الإبل والشيطان ثابتة بوجود الشيطان عند أصول أذنابها، وباعتبار صفة الغضب التي تتميز بها هذه الدابة.

والعلاقة التأثيرية بين طبيعة الدابة التي يؤكل لحمها، وبين طبع الإنسان الذي يأكل هذا اللحم .. أمر محقق[3].

ولما كان الشيطان مخلوقا من النار، وكان للشيطان علاقة بالإبل، وكان لتلك العلاقة أثر على من يأكل لحمها من البشر .. كان الأمر بالوضوء بعد أكلها.

وإقرارًا لهذه الحقيقة، فإن هناك حديثًا يثبت الأمر بالوضوء مما مسته النار مباشرة، ولكن هذا الأمر نسخ رفعا للحرج والمشقة.

الحرز باعتبار طبيعة ذاته :

ومن الطبيعي أن يكون لذات الشيطان أثر على أساليبه في الإضلال بدليل قول السدي وغيره في قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: «يعني أن الشياطين يمدون أولياءهم من الإنس، ولا تسأم عن إمدادهم في الشر لأن ذلك طبيعة لهم وسجية، لا تفتر فيه، ولا تبطل عنه»، ولذلك فإن إدراك هذه الأساليب يعتبر أساسا في إدراك هذه الذات، وإدراك هذه الذات يعتبر أساسا في تحقيق الحرز منه.

---

(١) متفق عليه: البخاري في الأذان عن أبي هريرة (٢/٢٢٧) ومسلم في المساجد (٥٩٨) عنه أيضا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٨٠) والطبراني في الكبير (٦/٩٦). قال في مجمع الزوائد (١/٢٤٨) : وسليمان لم أر من ترجم له، والقاسم مختلف في الاحتجاج به.

(٣) لعل هذا الأمر من الحكمة في تحريم لحم الخنزير الذي يتصف بعدم الغيرة .. مما جعل من يأكل لحمه من البشر متصفا بتلك الصفة .. والله أعلم.

ومن ذلك نجد أن الشيطان يختار مكان قضاء الحاجة بالنسبة للإنسان للتأثير عليه مما دعا رسول الله ﷺ أن يعلمنا دعاء دخول هذه الأماكن فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)[1].

ونجد الشيطان في محاولته لأن يضيع على الإنسان صلاته بالنوم يبول في أذنه، بدليل قول الرسول ﷺ عندما ذكر عنده رجل فقيل ما زال نائما حتى أصبح، فقال ﷺ: (بَالَ الشيطانُ في أذنه)[2] ومن هنا تكون صلاة الصبح في وقتها حرزا من هذا العمل الشيطاني.

ونجد الشيطان حينما لا يريد أن يسمع الأذان .. يدبر وله ضراط، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين)[3].

وكأن الشيطان لم يجد إلا مكان قضاء الحاجة والبول والضراط .. مما يكشف بوضوح قبح هذه النفسية.

وليس أدل على ما يملأ كيان هذا المخلوق من خبث .. من حبه للعورات ..!

حتى كان هدفه في بداية الأمر: هو كشف سوءة آدم وحواء، بدليل قول الله عز وجل: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (الأعراف: ٢٠-٢٢)

ولقد كان لحب العورتين في نفس إبليس رصيد جعله يعشق أصول أذناب الإبل .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (الإيمَانُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِه إلَى الْيَمَن، وَالْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوب فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرٍ)[4] وليس عند أصول الأذناب إلا العورة!

---

(١) متفق عليه: البخاري في الوضوء (١/٢٤٢) ومسلم في الحيض رقم (٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق (٦/٣٣٥) ومسلم في المسافرين رقم (٧٧٤) عن ابن مسعود.

(٣) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق (٦/٣٣٧) ومسلم في الصلاة رقم (٣٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: البخاري في بدء الخلق (٣١٢٦) ومسلم في الإيمان (٥١) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

ومن حقائق الحرز أن الشيطان يتنافر مع الخير .. إما كراهية له أو خوفا منه، ومن هنا فإن الشيطان لا يحضر الخير مطلقا ولا يطيق وجوده .

ومن أدلة كراهية الشيطان للخير .. عدة أحاديث منها: حديث أبي هريرة عندما أتاه آت يحثو من الصدقة (1).

والشاهد من هذا الحديث أن محاولة الشيطان لم تكن بالاعتبار المادي، لأنه لا يستفيد من مال الصدقة؛ إذ إنه ليس وسيلة للتعامل عنده، ولذلك يعبر أبو هريرة عن محاولة الشيطان بقوله: (يحثو) وتعني أنه كان يأخذ المال ويلقيه .. كراهية منه. لوجود بيت المال الذي يحفظ مال الغنائم والجزية، التي تمثل معنى غلبة الحق والفتح الإسلامي وامتداده في الأرض، ومال الزكاة والصدقة، التي تمثل حقيقة البذل والإنفاق في سبيل الله .. ومما يدل على عمق الكراهية لهذه الحقائق هو تكرار محاولته ثلاث مرات.

ومن الأحاديث الدالة على كراهية الشيطان للخير .. حديث أمية بن مخشن حيث قال: (كان رسول الله ﷺ جالسا ورجل يأكل طعاما، فلم يُسَمِّ الله تعالى حتى لم يبقى من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فمه قال: بسم الله أوله وآخره .. فضحك النبي ﷺ وقال: ما زال الشيطان يأكل معه .. فلما ذكر الله .. استقاء ما في بطنه) (2).

والشاهد من هذا الحديث لفظه: استقاء -أي تقيأ برغبته- كراهية منه لأن يبقى في بطنه طعام ذكر اسم الله عليه.

وليس هذا معناه أن الحرز أمر معلق فقط بكراهية الشيطان للخير؛ لأن الحرز في حقيقته: نظام قدّرهُ الله سبحانه وتعالى، لتتحقق النجاة به للمسلمين من بلاء الشيطان.

ومثلما يكون الشيطان محكوما بالنظام الكوني، يكون كذلك محكوما بنظام الحرز .. وكما يكون للشيطان محاولات لخرق النظام الكوني، تكون له كذلك محاولات لخرق نظام الحرز ..

(1) مر ذكره وتخريجه.

(2) أخرجه أبو داود في الأطعمة (٣٢٤٢،٣٢٤١/١٠) من حديث أمية بن مخشن. في إسناده المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي قال الحافظ: مستور.

وكما يتمكن الإنسان من الشيطان إذا اخترق النظام الكوني، فإنه يتمكن منه أيضا إذا اخترق نظام الحرز ..

ولذلك لما عرض الشيطان للنبي ﷺ في صلاته، واستعاذ النبي بالله منه، فلم يرجع عنه، أمكنه الله منه(١).

الحرز بالأسباب الكونية:

وبعد النصوص .. يأتي في الحرز أمرٌ آخر .. وهو الأخذ بالأسباب الكونية المحققة لأقدار الخير .. والمانعة للشر.

والمعنى القدري للحرز .. مرتبطة بحقيقة هامة وهي: ارتباط طبيعة السبب .. بطبيعة القدر المراد تحقيقه(٢).

وبتلك القاعدة يتطلب تحقيق المعنى القدري للحرز من الشيطان، سببا كونيا من طبيعته .. فكان النفث بعد قراءة الإخلاص والمعوذتين سببًا كونيًا لتحقيق الحرز .. وكان التمر الذي أمر الرسول ﷺ أن يؤكل كل صباح، سببًا كونيًا لتحقيق الحرز .. وكان عمر بن الخطاب نفسه .. سببا كونيا لتحقيق الحرز(٣).

ولذلك يقوم الإمام ابن القيم في تفسير المعوذتين: «والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقدة نفخا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيث ممازج للشر والأذى، المقترن بالريق الممازج لذلك، وقد يساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري .. لا الأمر الشرعي». وفي هذا دليل على أن امتزاج الريق بالنَّفس .. يحقق القدر الكوني .. فإن كان نَفَسًا طيبًا .. تحقق الخير، وإن كان نفسًا خبيثًا تحقق الشر.

ومن هنا كان أمر النبي بالنفخ عند الرقية بالمعوذتين وسورة الإخلاص، وكان قول النبي ﷺ: (بتربة أرضنا .. وريقة بعضنا .. يشفى سقيمنا).

ويتابع ابن القيم كلامه فيقول: «ومن أنفع علاجات السحر: الأدوية الإلهية .. بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه – أي السحر– من تأثيرات الأرواح الخبيثة

(١) رواه البخاري (٣/٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) كتاب قدر الدعوة للمؤلف.
(٣) كما سيأتي بيان إن شاء الله في قيام السلطة الإسلامية كحرز عام من الشيطان.

السفلية، ودفع تأثيرها إنما يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها.

وكلما كانت أقوى وأشد .. كانت أبلغ في النُّشرة[1]، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه فأيهما يغلب الآخر قهره، وكان الحاكم له، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئا من الله، مغمورا بذكره، وله من التوجيهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به، يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه، وعند السحرة أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية المعلقة بالسلفيات، ولهذا غالبا ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال .. أهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لانصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية.

وبالجملة .. فسلطان تأثيره: في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات، قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقا بشيء، كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات. والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسبها تلك الأرواح الخبيثة».

غير أن هناك **شروطا جوهرية في معالجة السحر** أهمها: استحضار اليقين في الشفاء، فلا يكون هناك في نفس الشخص المعالج، وكذلك المريض أدنى شك في أن حالة السحر التي تعالج، ستنتهي بالمنهج المحدد بالكتاب والسنة، وهذا الشرط أساسي في تحقيق قدر الله بالشفاء، لأن الرسول ﷺ يقول في حديث قدسي عن الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي)[2].

ومع استحضار اليقين في الشفاء بإذن الله .. يكون الشعور بأنه لاحول ولا قوة إلا بالله، ويكون الإخلاص لله في المعالجة من الفرد المعالج، وذلك حتى تقبل محاولة العلاج، لأن الله لا يقبل عملا فيه رياء[3].

(١) أي العلاج من السحر.

(٢) متفق عليه: البخاري في التوحيد (١٣/٣٨٤) ومسلم في الذكر رقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بدليل قول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: (من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه) أخرجه مسلم.

ومن الشروط كذلك الواجب توافرها في الشخص المعالج:

شرط **التحرز من الشيطان**، وخصوصا من لحظة العزم على معالجة الحالة، فيبدأ الفرد المعالج من لحظة العزم في تلاوة الأذكار بينه وبين نفسه التي تحقق له هذا الحرز، لأنه بمجرد العزم على العلاج .. سيصير هو ذاته هدفا للشيطان، حتى لا يصلح أن يكون سببا للعلاج.

ولما كان السحر حالة تسلط قائمة يراد رفعها، فإن أول أحكام المعالجة هي: الالتزام بالأذكار الثابتة التي يجب أن يلتزم بها المسلم لحمايته أصلا من وقوع التسلط.

ومن **شروط المعالجة**: ألا تكون هناك محاولة لمعالجة السحر بطريقة غير شرعية، إذ أنه يجب أن يخضع صاحب حالة السحر لمحاولة شرعية واحدة للمعالجة.

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ من علاج السحر بالسحر.

والبداية الطبيعية لمعالجة أي حالة من حالات السحر، هو البحث في سلوك الشخص الواقع تحته تأثيره، لا كتشاف الخطأ الشرعي الذي وقع فيه الشخص، وتسلل منه الشيطان إليه، وتسلط به عليه.

ومن الطبيعي أن يكون الإنسان واقعا في أخطاء، ولكن في حالة وقوع السحر .. يكون المطلوب عدم الوقوع في أي خطأ، لأن السحر يستمر باستمرار الخطأ.

وبعد النصوص الواردة في الحرز والأخذ بأسبابه الكونية ..

نأتي إلى أمور وأساليب تدخل في حقيقة الحرز بصفة جوهرية وأهمها:

تجميد تأثير الشيطان إذا حدث:

ولذلك نهى النبي ﷺ عن أن يتكلم الإنسان بحلم الشيطان إذا جاءه في النوم، لأن ذلك انتشارٌ لتأثيره في واقع الانسان، فقال ﷺ: (إذا رأى أحدكم ما يكره .. فليتفل عن يساره ثلاثا .. ولا يحدث الناس)[1].

وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقول: (رأيت في المنام أن رأسي مقطوعة، وتجري أمامي، وأنا أجري وراءها، فقال له رسول الله ﷺ: لا تحدثنا بلعب الشيطان بك)[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٧٠) وصححه الألباني.

(٢) مسلم في الرؤيا رقم (٢٢٦٨) عن جابر بن عبد الله.

وكذلك عند الوسوسة، حيث جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ! إني لأحدث نفسي بالشيء لأَنْ أَخِرَّ من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به .. فقال النبي ﷺ: الله أكبر .. الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)(١).

وبذلك أنشأ الرسول مدلولا جديدا لتأثير الشيطان بالوسوسة، فأصبح هذا التأثير دليلا على هزيمة الشيطان، ورد كيده عن الإنسان .. بدلا من معنى النجاح في التأثير.

ويدخل في معنى تجميد التأثير الشيطاني: الحذر من تضخيم هذا التأثير، ولذلك نهى الرسول ﷺ بعض الناس عندما رآهم يسبون رجلا قد شرب خمرا وقال لهم: (لا تعينوا الشيطان على أخيكم)(٢).

إرغام الشيطان:

ومعناه ربط أي تأثير يحققه .. بعمل مكروه عنده، فيفرض هذا العمل المكروه عليه، ويتحقق معنى الإرغام له ..

ومن ذلك: سجدتا السهو .. إذا حال الشيطان بين العبد وبين صلاته، حتى لا يدري كم صلى، باعتبار أن سجود ابن آدم هو أكبر عمل مكروه عند الشيطان.

ومن ذلك أيضا: الوضوء عند الغضب .. الذي هو من الشيطان، بدليل قول النبي ﷺ عندما غضب رجل أمامه: (إني لأعلم كلمة لو قالها .. ذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)(٣).

ومن ذلك أيضا: التماس ليلة القدر في كل وتر من العشر الأواخر من رمضان، لأن النبي ﷺ كان يعلم ليلة القدر، فتلاحى رجلان، فقال رسول الله ﷺ: (فنُسِّيتُها) فأمر الرسول أن يلتمسها المسلمون في كل وتر، ومما لا شك فيه أن التماس ليلة القدر في كل وتر .. أمر يكرهه الشيطان .. أكثر من التماسها في ليلة واحدة، وفي ذلك إرغام له.

ومن أبرز صور إرغام الشيطان: الاستغفار بعد الذنب ..

---

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٤٠) من حديث ابن عباس وقال الشيخ شاكر (٥/٥٩) سنده صحيح.
(٣) أخرجه البخاري في الحدود (١٢/٦٦) عن أبي هريرة.
(٣) متفق عليه.

قال الحافظ أبو بكر البزار: عن أنس قال: (جاء رجل فقال: يا رسول الله ! أذنبت ذنبا ! فقال رسول الله ﷺ: إذا أذنبت فاستغفر ربك، قال: فإني أستغفر .. ثم أعود فأذنب ؟! قال: فإذا أذنبت .. فعد فاستغفر ربك. فقال في الرابعة: استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المدحور)[١].

رجم الشيطان:

وذلك أنه حسب ما تقدم من أن الشيطان يتعاظم بتضخيم تأثيره، فإنه كذلك يتضاءل بتضخيم هزيمته أمام الإنسان.

ومن هنا كان رجم الشيطان في كل عام كمنسك من مناسك الحج .. إحياءً واستمرارا لموقف انتصار سيدنا إبراهيم على الشيطان عندما عرض له لما أراد ذبح ابنه إسماعيل.

حرز البيت:

والبيت من أهم الأشياء التي يتحقق بها الحرز من الشيطان وذلك لعدة أسباب:

- أن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا دخلت بيتك فأغلق بابك، وأكفئ إناءك، وأطفئ سراجك، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا)[٢].
- أن الشيطان (لا يدخل بيتا تقرأ فيه سورة البقرة)[٣].
- أن الحرز بالبيت .. يحقق تقابلا مع أخطر أعمال الشيطان وهي: المشاركة في أموال وأولاد بني آدم، بدليل قول الله عز وجل: (وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) (الإسراء:٦٤)

حيث جاء في تفسير الآية نهي رسول الله ﷺ عن ترك الأولاد إذا جاء الليل وهم خارج البيت، فقال ﷺ: (إذا استجنح الليل - أو كان جنح الليل - فكُفّوا صبيانكم .. فإن الشياطين تنتشر حينئذ).

ولذلك كان البيت من أهم أهداف الشيطان .. وكان الإنسان بخروجه من البيت .. هدفا مكشوفا له .. !

---

(١) رواه البزار عن أنس (٤/٨٢) قال الهيثمي في المجمع: (١٠/٢٠١) رواه البزار وفيه بشار بن الحكم ضعفه غير واحد.
(٢) متفق عليه: البخاري (٦/٣٥٠) في بدء الخلق، ومسلم رقم (٢٠٢١).
(٣) أخرجه مسلم في المسافرين رقم (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولذلك يقول النبي ﷺ: (ما من خارج من بيته إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك .. وراية بيد الشيطان، فإن خرج لما يحب الله عز وجل، اتبعه الملك برايته .. فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله .. اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته)[١].

ويقول: (إذا خرجت المرأة من بيتها استشرفها الشيطان)[٢].

ومن هنا كان من الضروري الالتزام بأدعية الخروج من البيت، ومنها قول رسول الله ﷺ: (من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قيل له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان)[٣]، وفي رواية أخرى يقول الشيطان لشيطان آخر: (كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟).

ولما كان حرز البيت إمكانية أساسية للإنسان في حربه مع الشيطان .. فإن الأمر تطلب أن يجير الله عز وجل .. عمار بن ياسر من الشيطان .. لما فقد إمكانية الحرز بالبيت عندما قتل أبوه ياسر .. وأمه سمية في سبيل الله.

ولذلك يقول أبو الدرداء: (ألم يكن فيكم من أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ .. يعني عمار ابن ياسر)[٤].

غير أن الظاهرة الجامعة لكل الأبعاد القدرية لقضية الشيطان هي .. قضية السحر!

ذلك لأنه يتحقق فيها: البلاء .. والتسلط .. والحرز.

كما يتحدد في ظاهرة السحر: تفسير فاعليته، وتأثيره في الواقع من ناحية التصور القدري ..

لذا كان لا بد من شرح بسيط لهذه الظاهرة .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٢٣) من حديث أبي هريرة بسند صحيح. انظر مجمع الزوائد (١/١٣٢).
(٢) حسن: أخرجه الترمذي في الرضاع (١١٧٣) قال الترمذي: هذا حديث غريب وهو كما قال.
(٣) أخرجه أبو داود (١٣/٤٣٧) وابن ماجة (٣٨٨٦) والترمذي (٣٤٢٦)، وسنده ضعيف.
(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٧/٩٠) من حديث أبي الدرداء.

السـحر

السحر: هو دين الشيطان ..!

لأن الدين: نظام .. وعبادة .. وجزاء .. يتجه بها العباد نحو الله .. بالحق.

وهي العناصر الثلاثة التي يقوم بها الساحر .. متجها نحو إبليس .. بالباطل.

فالسحر: هو نظام الشياطين بعضهم على بعض، حتى ينتهي أمرهم إلى إبليس.

والسحر: هو الطقوس والتصرفات المحققة لمعنى الخضوع المطلق أو العبادة لإبليس.

والسحر: هو الجزاء المتمثل في الخوارق الأحوال المحققة لغرض السحرة من الجن والإنس.

والساحر: هو البشر الخاضع لنظام السحر، والممارس لطقوسه، والذي تتحقق بواسطته الأحوال المطلوبة.

ومن معنى السحر .. تثبت الفاعلية المرتبطة به، حيث تكون هذه الفاعلية هي الظاهرة المقابلة لمعنى الولاية في الدين الحق، المترتب عليها حدوث الأحوال الربانية، عند تمام الدين وبلوغ التقوى.

فكذلك يكون للساحر أحوال شيطانية عند تمام الخضوع لنظام السحر وطقوسه، فينال جزاءه، وهو المتمثل في تلك الخوارق الشيطانية.

فالفاعلية القدرية المحققة للأحوال الربانية والشيطانية بلغت درجة من المساواة بحيث لا يمكن التفريق بينها كأثر، ولكن في أسبابها المحققة لها، ودلالتها المتحققة منها في الواقع.

فأصبح النظر في التفريق .. متعلقا بالشخص الذي وقعت على يديه تلك الفاعلية من حيث ولا يته لله .. أو للشيطان !

والأسباب التي مارسها من حيث الطاعة .. أو المعصية !

والدلالة المتحققة للأحوال من حيث الدعوة إلى طاعة الله .. أو المعصية لله سبحانه وتعالى !

وليس أدل على ثبوت معنى دين الشياطين كتفسير لحقيقة السحر، من أن ممارسته بأدنى مستوياته المتمثلة في الذهاب إلى الكهان والسحرة وتصديقهم، يعتبر كفرا بكل ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ!

لأن السحر والدين الحق .. لا يجتمعان في إنسان!

قال رسول الله ﷺ: (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه .. فقد كفر بما أنزل على محمد)[1]، فالتقابل بين السحر والدين .. مباشر وكامل ومحدد: (كفر) .. (بما أنزل) .. (على محمد).

وفي تفسير قول الله عز وجل: (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) (البقرة: ١٠٢) جاء القول: «أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول ﷺ لمن فعل فعلهم ذلك أنه ما له في الاخرة من خلاق.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي: من نصيب، قال الحسن: ليس له دين. وقال سعيد عن قتادة: ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة».

وقد حكى عياض في «إكمال العلم» أن جمهور أهل السنة ذهبوا إلى إثبات حقيقته، وأدخل الإمام مالك السحر في «باب الغيلة» لأن المسحور لا يعلم ساحره.

العبـــادة:

ومما يؤكد التقابل بين السحر ومعنى الدين من خلال العبادة، هو أن الطقوس التقليدية المحققة للسحر غالبا ما تكون شركا، وهو الأمر الذي ينقض الدين من أساسه.

وأخطر هذه الطقوس: الذبح لغير الله الذي ينقض حقيقة التوحيد.

لكن الأمر الغريب في هذا الإطار .. هو الطلب الدائم بذبح ديك أحمر، لأن الديك هو الذي يوقظ للصلاة، كما قال الرسول ﷺ، ولأنه علامة على وجود الملائكة[2]، وذبح الديوك عند ممارسة طقوس الشرك أمر قديم بدأته الصابئة التي كانت تعبد الشعرى[3].

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما، وصححه الألباني.
(٢، ٣، ٤) عندما ترعى الذئاب الغنم/ الجزء الثاني.

وقد ورد دليل في كتاب (تحفة الكرام بخبر الأهرام) للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي: «أن الصابئة هم عبدة النجوم، وعلى رأسهم عبدة الشعرى، يحجون إلى الأهرام، ويذبحون عندها الديكة والعجول السود، ويبخرون بدخن»[1].

وتتساوى كراهية الشياطين الشديدة للديك .. مع كراهيتهم للَّبن!

ومن هنا كان أقذر طقوس السحر هو خلط اللبن بالنجاسات — لعنهم الله لعنا كبيرا — وذلك باعتبار أن اللبن مثّل للفطرة والعلم والدين، كما يدل على ذلك مجموع النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ.

وتتضاعف صور الكراهية لتبلغ منتهاها .. بذبح الأطفال، باعتبارهم التجسيد الحي للفطرة، كما قال ﷺ: (ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2].

وارتباط السحر بالشرك جعل واقع السحرة حتما يرتبط بصنم، حيث يرتبط الجن الذي يسخره هؤلاء السحرة أيضا بذلك الصنم، وليس شرطا أن يكون الصنم ضخما ظاهرا للناس، بل من الممكن أن يكون تمثالا يخفيه الساحر عن أعين الناس.

النظام:

والسحر أصلا هو نظام سيطرة الجن بعضهم على بعض، وقواعد هذا النظام هي التي وضعها الجن تحت كرسي سليمان زاعمين أن هذا هو النظام الذي كان سليمان يسيطر به على الجان.

وأساس هذا النظام هو الربط بين درجة الإفساد، ومكانة الجن المحقق لهذا الإفساد، ودرجة تاثير هذا الجن في السيطرة على غيره من الجن.

والبداية الفعلية لوجود السحرة من البشر: هي دخول هؤلاء البشر في هذا النظام بشروطه المحققة لأساسه، وهو تحقيق درجة من الإفساد، تعطيه القدرة على التأثير في الجن، والسيطرة عليهم بحسب نظام الجن أنفسهم.

وعلى هذا تكون الحقيقة الأساسية الأولى في السحر هي: **إدخال البشر في نظام الجن، بعد تحقيق درجة من الإفساد تعطيه قدرة تأثير وسيطرة على الجن.**

---

(١) عندما ترعى الذئاب الغنم/ الجزء الثاني .

(٢) أخرجه البخاري (٤ / ٢٥٢) ومسلم (٨ / ٥٣) وغيرهما.

ومن هنا كانت شبهة اليهود التي أثاروها حول سليمان لما رأوه يسيطر على الجن. فعندما ذهب ملكُ سليمان، ارتد فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات، ولما أرجع الله إلى سليمان ملكه، وعاد الناس إلى الدين كما كانوا، وظهر سليمان على كتبهم، قذفها تحت كرسيه.

ثم لما توفي سليمان .. أخرج الجن والإنس الكتب، وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا، فأخذوه فجعلوه دينا، فأنزل الله تعالى: (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ) (البقرة:١٠٢).

قال محمد بن اسحاق بن يسار: «عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود فكتبوا أصناف السحر، ومن كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، ومن أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا». وعن الحسن: (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ) قال: ثلثٌ الشعر، وثلثٌ السحر، وثلثٌ الكهانة.

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام، ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفهم، والله الهادي[1].

وعلى هذا الأساس .. يكون السحر تدخل من الواقع البشري من ثغرة المعصية والشر، فاقتضى ذلك أن يكون حق قتل الساحر لمن يستطيع من أفراد الأمة وآحادها، لأنه حق لكل إنسان، حيث أدخل الساحر بسحره في واقع هذا الإنسان شرا وعناء، ولأجل أن السحر قد يبلغ درجة القتل خفية دون معرفة الساحر؛ اقتضى ذلك أن يجوز قتل الساحر غيلة إذا عرف.

حكم الساحر وأدلته:

وليس أدل على ثبوت حقيقة السحر من حكم الشرع، لأنه لو كان مستحيل الحدوث لكان مستحيلا شرعا، ولكن حكم الكفر يدل على حقيقته وحدوث أثره.

وقد استدل بقوله (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا) من ذهب إلى تكفير الساحر ؛ كما هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف .

وقيل: بل لا يكفر، ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي وأحمد بن حنبل وقالا:

---

(١) راجع تفسير ابن كثير الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

أخبرنا سفيان – هو ابن عيينة – عن عمرو بن دينار أنه سَمِعَ بَجَالَةَ بْنَ عَبْدَةَ يقول كتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقاتلا ثلاث سواحر ، وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضا . وهكذا صح أن حفصة أم المؤمنين سحرتهم جارية لها فأمرت فقتلت.

قال الإمام أحمد بن حنبل: صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ قتل السحرة.

وروى الترمذي من حديث إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب الأزدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حد الساحر ضربة بالسيف) ثم قال: لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث، والصحيح عن الحسن عن جندب موقوفا، قلت[1]: قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن عن جندب مرفوعا. والله أعلم.

وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله ! يحيي الموتى ..! ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه، وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر، وتلا قول الله تعالى: (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) .

وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أي أخبرنا يحي بن سعيد، حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب، فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحرا، وحمل الشافعي رضي الله عنه قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركا، والله أعلم[2].

وقد فعل اليهود ذلك رغم وجود حكم الساحر في التوراة التي بين أيديهم، ففي سفر التثنية: (إذا دخلت الأرض التي يعطيك يعطيك الرب إلهك .. لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم .. لا يوجد فيك من يزج ابنه أو ابنته في النار .. ولا من يعرف عرافة ولا عائف، ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانا أو تابعه، ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب) (سفر التثنية إصحاح ١٨) .

---

(١) القائل: الإمام ابن كثير.

(٢) راجع تفسير ابن كثير (١/١٤٤).

(والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزني وراءهم .. أجعل وجهي ضد تلك النفس، وأقطعها من شعبها، وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعه، فإنه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه) (سفر اللاويين - الإصحاح ٢٠)

تفسير آية السحر:

والسحر الذي يطلق عليه العامة: «العمل» هو أمر تكليف الساحر للجن .. بالتأثير في الإنسان المطلوب سحره.

والكيفية الفعلية التي يحقق بها الجان المسخر من جانب الساحر في الإنسان المطلوب سحره، تكون من خلال الذي يطلق عليه «العمل» هو أمر تكليف جري الشيطان في ابن ادم مجرى الدم من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون من خلال علاقة الجن المسخر بقرين الإنسان المطلوب سحره .. هذا هو تفسير السحر، والذي يوضحه بصورة كاملة قول الله: (وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) يعني أن السحر يخرج من تحت الإذن القدري الكوني الإلهي طبقا لقول الله تعالى: (وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) ويعني أن السحر مقيد بالأحكام القدرية.

مثال هذه الأحكام هو ارتباط فاعلية السحر بالواقع العام الذي يمارس فيه السحر من حيث الطاعة أو المعصية والفساد فكلما ظهر الفساد في واقع ظهر السحر فيه وقوي تأثيره.

وهذا الارتباط تابع لعلاقة الأفعال القدرية في الواقع البشري بحكم العموم، يعني ارتباط فاعلي السحر بظهور الفساد العام في الواقع، وهذا الارتباط هو الذي يفسر قاعدة: أن السحر لشخص معين إنما هو تدخل بالشر في الواقع البشري جميعه. ومن هذا الارتباط نشأ الحكم بجواز قتل الساحر لمن يستطيع ذلك من الناس جميعهم.

وفي قوله الله: (وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) قال سفيان الثوري: إلا بقضاء الله. وقال محمد بن إسحاق: إلا بتخلية الله بينه وبين ما أراد. وقال الحسن البصري: نعم ! من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط، ولا يستطيعون من أحد إلا بإذن الله.

وفي ضوء قول الرسول ﷺ: (القلوب على إصبعين من أصابع الرحمن)[1] لا يكون السحر في حالة الكره بين الزوجين بالإنشاء ابتداءً ؛ إنما يكون بالنفخ في الحال الذي عليه القلوب، ولو في قدر ضئيل من الكره، وهو تفسير قول رسول الله ﷺ: (أعوذ بالله من نفخه)[2] فالنفخ إنما يكون في حال قائم، وهذا الحال القائم هو الذي لا يستطيعه الشيطان .. بل هو الأمر الإلهي المجرد، فإذا كان المقصود بالسحر هو إحداث كره بين زوجين، فلابد أن يكون هناك لكي يتحقق أثر السحر: حالٌ ينفخ فيه الشيطان، بمعنى أنه إذا كان المقصود بالسحر إحداث إكراه، ولم يكن بين الزوجين القدر الكافي من هذا الشعور الذي ينفخ الشيطان فيه، فإن السحر يبطل ولا يكون له تأثير.

ويلازم الاعتقاد بأن السحر بإذن الله، الاعتقاد أيضًا بأن السحر لا يسبق القدر.

والكره بين الزوجين – وهو الصيغة الشائعة للضرر بين الزوجين – مرتبط بقضاء الله سبحانه.

فإذا كان السحر بالكره أمر ممكن، فيلزم مع ذلك الإيمان بأن (القلوب على إصبعين من أصابع الرحمن .. يقلبها كيف يشاء).

وإذا كان للجن أثر في الإنسان من خلال السحر بإذن الله، فيجب الاعتقاد أنه (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (هود: ٥٦).

وإذا كان السحر بالمرض .. فيجب الاعتقاد بقول الله (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ).

لا شئ يسبق القدر .. لا يكون شئ إلا بمشيئة الله وإذنه ..

كما لا يكون شئ بغير أمره .. والله غالب على أمره ..

الفاعلية السحرية:

وفاعلية السحر تأتي من خارج الواقع البشري، هذه حقيقة وتفسيرها: أن الفاعلية الشيطانية المطلقة تأتي من إبليس، لأن هذه الفاعلية تأتي من المعصية، وإبليس أول من عصى .. هذا بصفة أساسية.

---

(١) رواه مسلم (٨ / ٥١).

(٢) أخرجه الطيالسي (٩٤٧) وأبو داود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٠٧) وابن الجارود (٩٦) والحاكم (١ / ٢٣٥) والبيهقي (٢ / ٣٥) وأحمد (٤ / ٨٥) والطبراني في (المعجم الكبير) وابن حزم في (المحلى) (٣ / ٢٤٨).

أما تفسير العلاقة بين الفاعلية الشيطانية وإبليس على وجه التفصيل، فهي أن إبليس ذاته هو الذي جعله الله بلاء لآدم، واقتضى البلاء أن يعطيه الله قدرات يحقق بها البلاء، مع الأجل الممتد حتى قيام الساعة.

فأصبحت الشياطين كبلاء للإنسان بصفة عامة، مرتبطة بقدرات إبليس وأجله .. المقدر له من عند الله .

والسحر من أخطر حقائق هذا البلاء.

ولذلك ارتبطت قدرات الشياطين فيه .. بقدرات إبليس نفسه، وهذا الارتباط هو الذي يثبت أساس الصلة بين موقع إبليس وحركته، وبين فاعلية السحر المتحققة من خلال الشياطين، وهذا الأساس هو أخطر حقائق السحر لأنه هو نفس الأساس في العلاقة بين السحر والنجوم.

وتفسير ذلك: أن إبليس مرتبط مرتبط بنجم الشعرى الذي تقع أشعته في مدار العام على مجموع الكواكب المرتبطة بالأرض.

فعندما يمارس الساحر سحره، فإنه يربط بين الشخص المسحور له وبكل ما يتعلق بالمسحور له به من معلومات مع الكواكب الواقعة تحت أشعة الشعرى في وقت السحر، فتنشأ الصلة بين الساحر والمسحور له من ناحية .. وبين المصدر المحقق لفاعلية السحر من جهة إبليس.

وبتلك القاعدة كانت أهم أسباب السحر ذات طبيعة خارجة هي الأخرى عن الواقع البشري الظاهر .. وبدرجات متفاوتة.

ولعل أهم هذه الأسباب:

قواقع البحر المسماة بالودع، التي تحقق عن طريق أي إنسان يمسك بهذا الودع قدرة الساحر في معرفة معلومات عنه .. **والرمل**: باعتباره مادة قاع البحر، وكذلك وضع الأعمال في بطن السمك، وخصوصا الثعابين وهو أخطر أنواع السحر.

وكل هذه العناصر ذات صفة بحرية، لأن البحر ذاته له صفتان:

الأولى: صفة تسلط إبليس عليه ..

والثانية: صفة الغيب النسبي عن الإنسان، وانطباق قاعدة المكان المهجور الذي يسكنه الشياطين.

ثم نأتي إلى نوع آخر في الأسباب التي ينطبق عليها هذه الصفة، وهي مجموع الأماكن المهجورة والشقوق وأماكن النجاسات والقبور، وأبرز مصادر فاعلية السحر هي النفس البشرية.

وتحليل ذلك: أن حب الخير للغير .. يحقق البركة لهذا الغير، وهو معنى التبريك الذي يقابله كره الخير للغير .. الذي يحقق محق هذا الخير، وهو معنى الحسد ..

فأصبح للحب والكره أثرًا في الواقع بالبركة والمحق، وللنية في قلب الإنسان .. فاعلية قدرية، سواء بالخير أو بالشر. بمعنى: أن نية العبد مع شرب ماء زمزم، هي التي تنشيء فاعلية الشفاء في هذا الماء !

ويقابل ذلك: نية الساحر الذي يمارس السحر بنية محددة، لتحقق هذه النية فاعلية السحر، وهو ما يكون عند النفث في العقد، لأن الساحر ينفث في العقد لكل مسحور، ولكنه عند النفث يقصد أثرا مختلفا يتحقق مع النفث، وتنشأ فاعلية السحر في هذا النفث بنية الساحر وقصده.

وكذلك الحسد الذي تتحقق به أقوى فاعلية قدرية من حيث الأسباب .. إلى درجة يقول فيها النبي ﷺ: (لو أن شيئا سابقُ القدر .. لسبقته العين)[1] ..!

العمل:

والصورة المادية للسحر هي: «العمل» ..

وباعتبار أن العمل اختراق خفي للواقع البشري، نجد أن أخطر تقاليد السحر هو: استغلال غطاء على السحر، أو الظلام، أو الأشياء المغلقة.

وخارجية الفاعلية المقدرة للسحر عن الواقع البشري تصل بنا إلى حقيقة من حقائق السحر، وهي:

كيف يتم دخول هذه الفاعلية الخارجية إلى الواقع البشري ؟!

والسحر ذاته هو الذي يفسر بصفة عامة هذا الدخول، ولكن بالتفصيل نجد:

أن هذا السحر عبارة عن: **الساحر** .. والسحر ذاته، المسمى بـ **«العمل»**.

وهذا العمل هو الذي يخترق به الساحر بشيطانه واقع البشر.

فما معنى «العمل» ؟!

(١) أخرجه الترمذي (٢ / ٦) وابن ماجه (٢ / ٣٥٦) وأحمد (٦ / ٤٣٨)

الواقع أن العمل .. عملٌ ماديٌ يثبت حق الشيطان في التدخل في الواقع البشري من خلال ثغرة أحدثها الساحر في الحد الفاصل بين واقع الجن وواقع الإنس ..

وأقرب شبه بالعمل .. هو الراية التي يرفعها الشيطان ليحتفظ بتسلطه على الإنسان .. إذا عصى أو أخطأ.

ولكن الفارق: هو أن العمل .. شيءٌ ماديٌ يفعله الساحر ويراه طالب السحر، فيثبت بذلك الصفة المادية للسحر التي تعطي الشيطان حق التدخل المادي في الواقع البشري، ثم يختفي هذا العمل .. لتتحقق بذلك الصفة الشيطانية التي تتوافق مع صفة الشيطان وأعماله الخفية ..

فالعمل يجتمع فيه:

(١) الساحر ودرجة قوته.

(٢) ما يدل على الشخص المطلوب سحره .. (اسم أو أثر أو صورة).

(٣) الهدف من السحر.

ومن ناحية أخرى:

الأمر بالتكليف .. موضوع التكليف .. المنفذ للتكليف وهو خادم الساحر.

وهي العناصر التي يمكن من خلالها إبطال السحر.

(١) الساحر: بفك السحر .. وهو الآمر بالسحر .. فيلغي الأمر.

(٢) المسحور: بعلاجه .. أو الكشف عن السحر .. فيفقد صفة جوهرية في عمل الشيطان وهي الخفاء، فيبطل السحر.

(٣) خادم السحر: بحرقه .. أو إخراجه.

ولتحقيق الخفاء في السحر يستغل أو يستخدم الظلام الغطاء على الأشياء المصنوعة، كالصناديق أو الأشياء المغلقة الطبيعية كالبيض ..

القابلية للسحر:

والقابلية للسحر تكون من ناحيتين:

أ- من حيث الطاعة والمعصية.

ب- من حيث الطبيعة البشرية ذاتها.

ولما كان السحر تدخلا بالتأثير في واقع البشر من خلال ثغرة ..
وكانت المعصية هي أخطر هذه الثغرات ..

فإن هناك ثغرات قد يحدثها الإنسان دون انتباه .. ولو من خلال الطاعة .. كيف ؟!
نضرب لذلك مثلاً:

إذا صلى إنسان بمفرده .. ثم صلى معه رجلٌ آخر .. فلا شك أن صلاته جماعة تجعل العبد بعيدا عن الشيطان، وأقوى حرزا منه .. ولكن ؛ إذا كانت بينه وبين الذي صلى معه فرجة .. فإن الشيطان يتخلل بينهما، فأصبحت الجماعة وهي الحرز من الشيطان سببا في ثغرة له .. من خلال الفرجة.

فكانت الثغرة بسبب الطاعة .. ولكن من خلال الخلل.

وهذا الخلل في الطاعة .. هو السبب في الظاهرة الملموسة لنا، وهي قابلية الكثير من أهل الطاعة للسحر.

ذلك لأن الخلل في طاعتهم .. غالبا ما يكون من عدم المداومة على المستوى الذي حددوه لأنفسهم في إقامة الطاعة.

فإذا حدد رجل صالح لنفسه وردا من القرآن يلتزم بقراءته، فإن الإنقاص من هذا الورد وعدم المداومة عليه .. ثغرة ينفذ منها الشيطان.

فيراه آخر يقرأ القرآن — بالقدر الأقل من ورده — ومع ذلك يجده معرضا للتسلط، فيتعجب من قراءته وإصابته دون أن ينتبه إلى الثغرة التي أحدثها بعدم المداومة على ورده ..

ومن هنا قول رسول الله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله: أدومها وإن قل)[1].

هذا ما يفسر القابلية للسحر من خلال الطاعة والمعصية.

أما ما يفسر القابلية للسحر عن حيث الطبيعة البشرية .. فإن أكثر الناس قابلية السحر: هم الذين تظهر فيهم إحدى الصفات الأربعة: الخوف .. الحزن .. الندم .. اليأس.

وهي العناصر الأساسية لتفسير الأبلسة !

وهي مفاتيح الشيطان .. للدخول إلى الإنسان !!

---

(١) متفق عليه

أما من حيث السلوك .. فإن أخطر أسباب القابلية للسحر هي: حب التفرد بالنفس، أو حب الظلمة الشديدة، أو التواجد في الأماكن المهجورة ..

أما عوامل ضعف القابلية للسحر وقوة الإنسان أمام تأثيره فأهمها:

التوكل: وهي ما يقابل السحر كسبب للشر ..

واليقين: فإن السحر كسبب .. لا يسبق القدر .. ولا يتجاوز المشيئة الإلهية.

والرضى بقدر الله مع دفع البلاء .. دون تسليم به .. مما يعني الأخذ بالأسباب المبطلة له .. مع القوة الشخصية والنفسية والبدنية التي تجعل الشيطان لا يجد نقطة ضعف فيها ليحدث أثر السحر.

وإذا كان بلوغ اليقين شرطا أساسيا في صحة العلاج بعد وقوع السحر .. فإنه كذلك شرطٌ لتفادي حالات التوهم والتأثر لرؤية المرضى الآخرين.

وحالات التوهم غالبا ما ترتكز على الأمور المعتادة .. مثل أن يكثر النسيان أو يتخيل أن أحدًا وراءه .. أو أن يُقَدَر عليه رزقُه .. فيظن أن به سحر.

والذي يساعد على هذا التوهم .. هم المعالجون الذين يعيشون دائما في حالات العلاج، فيتأثرون نفسيا، حتى لا يرى إنسانًا .. إلا ويظن أنه مسحور أو به مس !!

الموانع الأصلية:

الحقيقة أن هناك أسبابا إذا توافرت في واقع أي إنسان .. كان في مأمن من السحر أصلا، وهذه الأسباب هي في حقيقتها تمثل المعنى التام للتقابل مع السحر من الناحية الواقعية ..

فباعتبار أن السحر كفر بالدين .. كانت التقوى - بصفتها تمام هذا الدين وكماله - حرزا من السحر.

وباعتبار أن السحر سبب للشر .. كان التوكل - وهو الارتفاع فوق مستوى الأسباب - حرزا من السحر.

يقول ابن القيم: «وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أمثاله، تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقَى الروحُ الخبيثةُ الرجلَ أعزلاً .. لا سلاح معه .. وربما كان عريانا .. فيؤثر فيه هذا.

وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، لهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية ..

وبالجملة: فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات.

قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقا بشيء، كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات.

والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها، بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها العدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره . والله أعلم .

مقارنة بين أعراض السحر والأعراض الطبيعية:

والتفريق بينهما يكون من خلال عدة ظواهر:

أولا: عدم وجود تفسير طبي للأعراض الطبيعية أصلا.

ثانيا: وجود انقطاع زمني للأعراض الطبيعية، مثل أن يرتفع ضغط الدم .. ثم يكون عاديا .. ثم يرتفع .. من غير تدخل طبي أو مثل أن يرى أحيانا بعينه .. وأحيانا أخرى لا يرى.

وسائل مراعاة المحارم:

(١) يفضل للراقي أن يكون مُحصَنا (متزوجا).

(٢) أن يكون بلغ من السن ما يجعله أملك لنفسه.

(٣) أن تكون الحالة إن كانت أنثى في زيها الشرعي الكامل.

(٤) أن يكون معها محرم لها .. لا يفرقها ولا ينفرد الراقي بها.

(٥) يمكن الاستعاضة عن طريقة وضع اليد على رأس المريضة، بأن يمسك الراقي بيد المحرم، ويضع المحرم يده على الموضع المطلوب.

(٦) ومن أخطر الظواهر الدالة على الانصراف عن حقيقة الرقية الشرعية، هو تعلق الناس براق دون آخر، ونحن لا ننكر التفاضل بين الراقين، ولكن هذا التفاضل يجب أن يكون هو الآخر على أساس شرعي.

فبمقدار التزام الراقي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبمقدار حفظه للأعراض والمحارم، وبمقدار تجرده من الدنيا: يكون التفاضل بين المعالجين ..

ولا يجب النظر إلى عامل الشهرة بين المعالجين، فقد يعجز راق مشهور عن شفاء حالة يكون الشفاء فيها على يد راق غير مشهور، فالعبرة بالرقية في أساسها الشرعي، وبالراقي في التزامه بشرعية الرقية، وحفظه للمحارم والأعراض كما مر سالفا.

ويجب الانتباه إلى أن التجربة والنتائج في إطار الرقى .. إنما يكون على أساس شرعيتها.

أما التجربة والنتائج المشاهدة من غير اعتبار الشرعية للرقية، فلا قيمة لها .. لأنه من الممكن للشيطان أن يدخل على العبد من هذه الناحية .. فيعتبر العبد أن النتائج هي التي تعطي للرقية شرعيتها ..

وهذا حديث يثبت محاولة الشيطان للدخول على المسلمين برقى غير شرعية من ناحية النتيجة:

عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود، عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) قالت: قلت: لم تقل هذا ؟!، والله لقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي، يرقيني، فإذا رقاني .. سكنت ..!

فقال عبدالله: أما ذاك عمل الشيطان، كان ينسخها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: أَذْهِب البَاسَ .. ربَّ الناس، اشف أنت الشافي .. لا شفاء إلا شفاؤك .. شفاء لا يغادر سقما).

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) وصححه الألباني.

الاختبارات:

وفي مرحلة التشخيص يجب أن يبلغ المعالج درجة اليقين في مرض الحالة، ولذلك يجب أن يرتكز على الأعراض اليقينية مثل:

(١) أن يرى في منامه حلما مفزعا بصفة دائمة (كابوس).

(٢) أن يرى في منامه أي عناصر كونية قريبة من الشيطان مثل – الحيات – الكلاب – الحمير.

(٣) الأعراض العضوية مثل: الصداع – ضربات القلب القوية – الاختناق الشديد.

التشخيص:

محصلة التأثير: المحصلة النهائية لتأثير الجن في الإنسان لها عدة أبعاد:

نوع التسلط: هل هو لبس .. أو مس .. أو حسد.

سبب التسلط: هل هو من خلال الخوف .. أو من الحزن .. أو اليأس .. أو الندم .. أو معصية .. أو هو سحر ليس له سبب من جانب الإنسان المريض.

طبيعة الجن المسخر: هل هو جن عادي .. أو جن ساحر .. أو يهودي أو مسيحي أو مجوسي أو ... إلخ.

طبيعة الإنسان الهدف: هل هو قوي الالتزام والمعدن والطبع .. أم إنه ضعيف الإلتزام والمعدن والطبع.

الأساس العام للعلاج:

أ. وجميع أسباب العلاج لا تخرج عن معنى التقابل مع السحر ..

فباعتبار تقابل السحر والبركة كما بيَّنا في فاعلية السحر، كان زيت الزيتون – باعتباره شجرة مباركة – علاجا من السحر.

وباعتبار أن السحر لا يخرج عن قدر الله خيره وشره، وأن السحر من الشر، فإن إثبات قدر الخير علاجا من السحر، كما هو في سورة الفلق، حيث أن الفلق: هو قدر الخير والبركة.

وباعتبار أن السحر يُقضى في ظلمة – وهو الغاسق إذا وقب – أي الليل إذا أظلم، كان الفلق بمعنى النور .. إثبات لقدر الخير في مقابل الشر.

وباعتبار أن السحر يقابل معنى العلم، بدليل أن آثاره لا تظهر إلا بالجهل،

كان العلم وقايةً وعلاجًا من السحر (يوصى بحضور مجالس العلم للمرضى).

وباعتبار أن السحر غضب من الله، كانت الجنة وثمارها وآثارها وذكرها، علاج من السحر .. مثل التمر وهو من ثمار الجنة ومظهر من مظاهر الفلق لقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) (الأنعام:٩٥) ..

وباعتبار أن السحر بعد عن الله .. كان ماء المطر بصفته قريب من الله كما قال رسول الله ﷺ: (هذا الماء حديث عهد بربه) كان ماء المطر علاجا من السحر.

وباعتبار أن السحر بعد عن الله ؛ كان ماء النيل والفرات باعتبارهما من أنهار الجنة علاج من السحر.

وباعتبار أن السحر شر .. كان ماء زمزم بصفته مظهرا لقدر الخير .. علاجا من السحر.

والحجامة علاج من السحر .. باعتبار أن الحجامة شفاء من المرض، وتخلص من حظ الشيطان في دم ابن آدم .

وتسمية المسحور مطبوبًا .. تفاؤلا أن أول علاج السحر هو:

(١) إحسان الظن والتفاؤل بالشفاء ..

(٢) وثاني القواعد هي عدم الانشغال بالساحر .. لأن استمرار أثر السحر يماثل استمرار أثر الحلم الشيطاني إذا انشغل به .. فكما تتفل عن يسارك ثلاثا فلا يضرك الحلم الشيطاني كذلك الساحر.

(٣) أن العلاج من السحر علاج شرعي .. وهذا العلاج مرهون بقدر الله، دون النظر إلى الأسباب المادية أصلا، ولذلك فإن الشخص الذي يجري على يديه الشفاء، هو الأمر من الأمر القدري البحت، لأن العلاجات القائمة على أسباب مادية لا ينظر فيها إلى المعالج، لأن السبب متحقق في أي معالج.

ولما كان المعالج في العلاجات الشرعية جزء لا يتجزء من العلاج، فإن الإمام ابن القيم يشبه المعالج بأنه آخذ السيف الضارب به .. فإن كانت الرقى واحدة .. فإنها مرهونة بقارئها .. كما أن السيف واحد .. ولكنه مرهون بالآخذ له والمضارب به .

وباعتبار أن السحر من الشياطين .. فإن الملائكة يمثلون أساسا في العلاج:

ويتمثل الأساس في الرؤى التي يراها المسحور من خلال الملائكة، ويبينون لها فيها أنسب الرقى لعلاج حالته.

كما يتمثلون في طمأنه العبد وتبشيره بالشفاء.

ومن هنا كانت أسباب حضور الملائكة جزءا لا يتجزأ من العلاج مثل: حضور مجالس الذكر التي تحققها الملائكة، ومثل السعي إلى المساجد والجلوس فيها.

كما تصبح أسباب نفور الملائكة .. أسبابا لمنع العلاج وتعطيله!

مثل: الكذب .. الذي تتباعد به الملائكة عن العبد، والغيبة .. التي تحضر بها شياطين وتذهب الملائكة ..

وقاعدة الغيبة التي تحضر بها الشياطين وتذهب بها الملائكة .. يتقرر بها أن أسباب حضور الشياطين .. هي نفسها أسباب ذهاب الملائكة!

ومما يذكر في أسباب ذهاب الملائكة .. الرائحة الكريهة، والصور، والكلاب، والتماثيل، واحدة منها أو كلها، وبذلك تكون أسباب حضور الملائكة وذهاب الشياطين أسباب أصلية في علاج السحر.

ولما كانت الملائكة أسباب أصلية في العلاج .. وكانت الملائكة أداة الرؤى الرحمانية .. كان من صيغ التقابل بين السحر والدين في مجال الفاعلية القدرية: الرؤيا الرحمانية .. والحلم الشيطاني .

ذلك لأن رؤيا الرحمن .. قد تكون علاجا من السحر ..

في الوقت الذي يكون فيه حلم الشيطان .. عرضا من أعراض السحر ..

ولكل من حلم الشيطان، ورؤية الرحمن، درجات للتحقيق في الواقع، تبدأ من انشراح الصدر برؤيا الرحمن .. والحزن والخوف من حلم الشيطان ..

وتنتهي بآثار فعلية لكل منهما .. وفق ما يراه الإثنان.

وعندما يكون حلم الشيطان عرضا من أعراض السحر .. فغالبا ما يكون الفزع المستمر.

أو وجود الحيات والكلاب والفئران والحمير .. أو أي عنصر شيطاني آخر ..

غير أن أهم ما يقطع بوجود السحر في حلم الشيطان: هو الحيات .. باعتبار الصلة بينها وبين إبليس .

وعندما تكون رؤى الرحمن علاجا من السحر .. فغالبا ما يتمثل فيه الملك الذي يدل على الفعل المطلوب، أو الرقى المناسبة لعلاج هذا السحر.

وعندما تكون رؤيا الرحمن علاجا من السحر أيضًا .. فإن الفاعلية قد تبلغ درجة أن يرى المريض الحافظ في حال اليقظة، وهو يدفع الشيطان عن الإنسان.

فضل الله ورحمته

وفضل الله ورحمته ..

متحقق ابتداءً بإدخال آدم الجنة دون عمل منه ..

واعتبار وجودنا على الأرض وضعًا استثنائيًا معلقًا بالنجاة من الشيطان ..

ومتحقق بعدل البلاء بالشيطان لإتاحة إمكانية التغلب عليه ..

ومتحقق بإحاطة الله لتسلط الشيطان إذا وقع ..

وامتدادًا لحقائق الفضل الإلهي ..تأتي هذه الحقائق:

مقام النبوة:

ونقصد بها شخص النبي ﷺ باعتباره أساسا قدريا لتحقيق الهداية، ولذلك قُدِّمَ لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج لبنٌ وخمر .. فاختار اللبن، فقال له جبريل: (أصبت الفطرة .. لو اخترت الخمر لغوت أمتك)[1].

وباعتباره أساسا قدريا لرفع العذاب المحقق لولاية الشيطان، بدليل قول الله سبحانه: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: ٣٣).

وباعتباره أساسا قدريا للاستعاذة من الشيطان، بدليل ما علمه رسول الله ﷺ لعائشة: (اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك)[2].

ولأجل أن مقام النبوة أساس في تحقيق الهداية ..

نجد أن كل غواية ظهرت في أمة النبي ﷺ ترجع في أصلها وبدايتها إلى مس هذا المقام بسب أو إيذاء، ومن أبرز الأمثلة على ذلك .. ظهور الخوارج الذي يرجع وجودهم إلى الرجل الذي قال للنبي ﷺ: (يا رسول الله .. اعدل!) ..

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأنبياء (٦/٤٢٨) ومسلم في الأيمان رقم (١٦٨).

(٢) أخرجه أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٥٦).

عن أبي سعيد الخدري قال: (بينا النبي ﷺ يقسم قسما إذا جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله فقال: ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه قال: دعه فإن لهذا أصحابا .. يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون [١] من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فينظر في قذذه [٢] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه [٣] – كذا يقول معمر: فلا يرى فيه شيء – ثم ينظر في رصافه [٥] فلا يرى فيه شيء، ثم ينظر في نصله [٤] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم [٦]: رجل أسود إحدى يديه –أو قال: مثل إحدى يديه– مثل حلمة ثدي المرأة –أو مثل البضعة– تدردر [٧]، يخرجون على حين فترة من الناس) قال: فنزلت فيهم: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) (التوبة: ٥٨) قال أبو سعيد: وأشهد أني سمعت هذا الحديث من النبي ﷺ وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت النبي [٨] ﷺ.

وكذلك ظهور الجهمية الذين ترجع بدايتهم إلى لبيد بن الأعصم .. اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، ويكشف لنا الإمام ابن تيمية تلك البداية بقوله: «ثم أصل هذا المقام إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود المشركين، وضلال الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة –أعني أن الله ليس على العرش حقيقة، إنما استوى: استولى – أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فتنسب مقالة الجهمية إليه، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم .. اليهودي الساحر الذي سحر النبي[٩] ﷺ»

(١) يرقون: يجوزون ويخرقون ويخرجون، وقيل الدين هنا تعني طاعة الإمام.
(٢) القذذ: ريش السهم.
(٣) نضي السهم: ما بين ريشه ونصله.
(٤) الرصاف: ما يلف على رأس السهم المدبب.
(٥) النصل: حديدة الرمح والسهم والسكين.
(٦) الآية: العلامة.
(٧) تدردر: تترجرج وتضطرب وتتحرك وتجيء وتذهب.
(٨) متفق عليه: أخرجه البخاري في المناقب (٦/٦١٧) ومسلم في الزكاة رقم (١٠٦٤).
(٩) كتاب الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية.

ولكن هذه الاعتبارات تركز عمل إبليس علي مقام النبوة باعتباره أخطر الأهداف .. ومن ذلك كانت محاولات قتل النبي ﷺ، سواء بتدخل مباشر منه .. مثل محاولته في مؤتمر الندوة، ومحاولته حرق النبي بشعلة النار أثناء صلاته.

أو بواسطة أوليائه .. مثل محاولة اليهود قتل النبي ﷺ بدس السم له في الطعام، أو محاولة اليهود إلقاء الحجر عليه، إلى غير هذه المحاولات التي كتب الله بفضله لنبينا ﷺ النجاة منها ..

والحقيقة أن قتل النبي ﷺ كان رغبة قوية عند إبليس .. ويكشف ذلك صياحه يوم أحد: «قتل محمد» ! وهو لم يزل حيا ﷺ.

تدخل الملائكة :

ومن فضل الله على الناس أن جعل سبحانه الملائكة طرفا فى الحرب بين الإنسان والشيطان، لتكون للإنسان أقوى ظهير.

والواقع أن تدخل الملائكة فضل إلهي لن نعرفه إلا إذا عرفنا المهمة الكاملة للملائكة في تلك الحرب، وعندما نقول عرفنا إنما نعني محاولة المعرفة .. لأن القضية أكبر من المحاولة .. والفضل أكبر من المعرفة !

ولعل دور الملائكة بالذات هو الأساس فى قول الله سبحانه: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) (النور: ٢١).

ومهمة الملائكة تقوم على حقيقة أساسية .. وهي التقابل مع الشياطين .. وذلك من خلال عدة أمور:

- طبيعة الملائكة التى تقابل طبيعة الشياطين.
- الوضع الكوني للملائكة المقابل للوضع الكونى للشياطين.
- الأسلوب العملي للملائكة المواجه لأعمال الشيطان.

ثم أثر موقف الإنسان .. باعتباره الطرف الأساسي أمام الشيطان .. على موقف التقابل الملائكي فى تلك الحرب، فنحن نعرف أن الملائكة كيان خالص للخير، وأدلة ذلك معروفة منها قول الله سبحانه: (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم: ٦).

ويمقتضى تلك الطبيعة، صارت الملائكة مقياسا مطلقا للخير، وصار التوافق معها سببا فى تحقق غفران الله لذنوب البشر، بدليل قول رسول الله ﷺ: (إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده .. فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه)[1].

وفى باب التأمين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أمن القارئ فأمنوا، فإن الملائكة تؤمن .. فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)[2]، وقال ﷺ: (إذا سمعتم صياح الديكة .. فسلوا الله من فضله .. فإنها رأت ملكا)[3].

وإثبات التقابل بين وضع الملائكة والشياطين يكون بالمقارنة فى الشكل التنظيمي بينهما؛ فكما أن هناك سلطة في واقع الشيطان تبدأ من عند ابليس ..

كذلك تكون سلطة في واقع الملائكة بدليل قول الله عز وجل: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) (التكوير: ١٩-٢١).

وقوله تبارك وتعالى: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) (الصافات: ١٦٤).

وكما أن هناك سلطة فى واقع الشياطين تنتظم بها المهام الشيطانية .. كذلك يكون الأمر في واقع الملائكة مثال سلطة ملك الحسنات على ملك السيئات في مهمة تسجيل الأعمال، حيث سأل عثمان بن عفان رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من الملائكة ؟! قال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمير على الذى على الشمال، فإذا عملت حسنة كتبت عشرة، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب .. قال: لا ! لعله يستغفر ويتوب)[4].

وكما تقوم سلطة الشياطين بمقام الإفساد .. يكون التفاضل بين الملائكة بمقدار الخير الذي يحققونه، كما قال جبريل للرسول ﷺ: (ما تعدون أهل بدر فيكم ؟! قال: من أفضل المسلمين -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدر من الملائكة)[5].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢/٢٨٣) ومسلم (٤٠٩).
(٢) متفق عليه: البخاري (٢/٢٦٢) ومسلم (٤١٠).
(٣) متفق عليه: البخاري (٦/٣٥٠) ومسلم (٢٧٢٩).
(٤) راجع تفسير ابن جرير الطبري (٩٧ ، ٩٨ / ٢٦).
(٥) البخاري في المغازي (٧/٣١٢,٣١١) عن معاذ بن رفاعة عن أبيه.

وكما ارتبط نظام الشياطين بهدفهم المرتكز على إحاطة الإنسان بذنوبه، كذلك ارتبط نظام الملائكة بهدفهم المرتكز على هدم ركيزة الشيطان بمغفرة هذه الذنوب، ابتداءً بسلطة ملك الحسنات الذي يقول: (أمهله لعله يستغفر) وانتهاءً بملائكة العرش: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (غافر: ٧)

وفي إطار التقابل بين الملائكة والشياطين .. يفرق ابن القيم بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه:

– أن ما كان موافقا للشرع وأثمر إقبالا على الله وإنابة إليه وذكرًا وأنسًا ونورًا وانشراحًا في الصدر وسكينةً وطمأنينةً .. فهو من الملك، وما أورث ضد ذلك .. فهو من الشيطان .

– والإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية، فتكون لمة الملك فيه أكثر من لمة الشيطان، أما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات، فإلقاء الشيطان ولمته أكثر من لمة الملك.

– وكما تخصص شيطانٌ لكل إنسان، فقد تخصص ملكٌ في مواجهة هذا الشيطان، بدليل قول الله سبحانه: (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (الطارق: ٤)، وقول رسول الله ﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة .. فأما لمة الشيطان: فإيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك: فإيعادٌ بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان)[1].

وكما تَخَصَّصَ شيطانٌ لكل مكان ... فإن لكل خلق كوني ملائكة ..

مثل ملائكة السحاب الوارد ذكرهم في قول الله عز وجل: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) (الصافات: ١،٢)

ومثل ملك الجبال الذي جاء مع جبريل إلى رسول الله ﷺ في الطائف، حيث جاء في الصحيح:

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) والنسائي، وابن حيان (٣/٢٧٨) عن ابن مسعود مرفوعا.

(ناداني جبريل فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردهم عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت .. فناداني ملك الجبال .. فسلم عليّ)[1].

وكما أن الشمس تشرق بين قرني شيطان كل صباح، فقد تخصص لكل صباح كذلك ملكان يقول رسول الله ﷺ: (ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان .. يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ! فإن ما قل وكفى .. خير مما كثر وألهى، ولا آبت شمسٌ قط، إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان .. يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللهم أعط منفقًا خلفًا .. وأعط ممسكًا تلفًا)[2].

وكما يبعث إبليس سراياه يفتنون الناس .. فإن الملائكة يتعاقبون في الناس بالليل والنهار .. بدليل قول الرسول ﷺ: (إن الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي ؟! فيقولون: تركناهم يصلون .. وأتيناهم يصلون)[3].

كما يمشي في الناس ملائكة سيارة .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة .. فضلا عن كُتاب الناس .. يطوفون الطرق .. يلتمسون أهل الذكر)[4].

ومثلما يكون ظهور الشياطين بمقدار ظهور الفساد في الأرض، يكون ظهور الملائكة بمقدار ظهور الخير ..بدليل حديث حنظلة: عن حنظلة الأسيدي –وكان من كتاب رسول الله ﷺ– قال:

(لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: قلت: نافق حنظلة ! قال: سبحان الله ! ما تقول ؟، قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا نلقى مثل هذا ..!

فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا علي رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله !! فقال رسول الله وما ذاك ؟ قلت: يا رسول الله ! نكون عندك تذكرنا

---

(١) متفق عليه: في بدء الخلق (٣١٢،٣١٣) ومسلم رقم (١٧٩٥) حديث عائشة.
(٢) صحيح أخرجه أحمد في المسند (١٩٧/٥) من حديث خليد العصري عن أبي الدرداء رضي الله عنه وسنده صحيح.
(٣) متفق عليه: البخاري في المواقيت (٣٣/٢) ومسلم رقم (٦٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في الدعوات (٢٠٨/١١) ومسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٨٩).

بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرا .. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده .. لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر .. لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة .. ساعة وساعة)[1].

وفي رواية أبي هريرة قال: (قلت: يا رسول الله ! ما لنا إذا كنا عندك .. رقت قلوبنا، وزهدنا في الدنيا .. وكنا من أهل الآخرة ..!

فإذا خرجنا من عندك .. عافسنا أهلينا، وشممنا أولادنا، وأنكرنا أنفسنا ؟!: فقال رسول الله ﷺ: لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي .. كنتم على حالكم ذلك .. لزارتكم الملائكة في بيوتكم !)[2].

وحديث أسيد بن حضير الذي قال فيه: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكتَ فسكتت !، فقرأ فجاست الفرس، فسكتَ وسكتت الفرس !، ثم قرأ .. فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره .. رفع رأسه إلى السماء .. فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير . قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى .. وكان منها قريبا في نعت رأس، فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح حتى لا أراها، قال: أتدري ما ذاك ؟ قال: لا !، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك .. ولو قرأت لأصبحَت ينظر إليها الناس .. لا تتوارى منهم)[2].

الحساب:

ومن الحقائق التي نعرف بها فضل الله علينا: أن تسلط الشيطان لا يتحقق بكل ذنب من الإنسان، ولكن يتحقق ببعض ذنبه، بدليل قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (آل عمران: ١٥٥).

---

(١) أخرجه مسلم في التوبة رقم (٢٧٥٠).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٦) وأحمد في المسند (٢/٣٠٥) قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.
(٣) متفق عليه: البخاري (٩/٦٣) ومسلم (٧٩٦) من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

وإن كانت القاعدة أن التسلط يكون بذنب الإنسان، إلا أن فضل الله ورحمته يسبق تلك القاعدة، كما قال رسول الله ﷺ: (إن الله كتب كتابا فوق العرش عنده .. أن رحمتي سبقت غضبي)[1].

وليس للتفريق بين الذنب الذي يكون به التسلط والذنب الذي لا يكون به أي تفسير غير ذلك، وفضل الله باعتباره تفسير لهذه الحقيقة يتفق مع ما نعلمه بصفة عامة، من أن الله لا يؤاخذ الناس بكل ذنوبهم .. بدليل قول الله عز وجل: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٠).

وقد مر بنا كيف إن ولاية العبد لا تتحقق بمجرد الذنب، لأنه من الممكن أن يقع الذنب، فيعفو الله عنه، وبذلك صار العذاب هو الدليل على الولاية باعتبار أن العذاب سبب الذنب الذي لم يغفر.

ومن الحقائق التي نعرف بها فضل الله علينا: تقييد التسلط الشيطاني بالأحكام الشرعية للدين، مثال الحكم الشرعي بحد الاستطاعة الذي جاء في قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن: ١٦) أما دليل تقييد التسلط بهذا الحكم فهو قول رسول الله ﷺ: (غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج .. فإن الشيطان لا يحل سقاءا .. ولا يفتح بابا .. ولا يكشف إناءً ..فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا .. ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم)[2]، فنلاحظ من الحديث أن وضع العود على الإناء يكفي لأن يكون حرزا من الشيطان إذا كان ذلك المستطاع.

ويقول ابن القيم تعليقا على قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود: (إن كان صوابًا فمن الله .. وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان). فيقول: فجعلوا ما يلقي في النفس من الاعتقادات وغيرها التي ليست صوابا من الشيطان، وإن لم يكن صاحبها آثمًا لأنه استفرغ وسعه، كما لا يأثم بالوسواس الذي يكون في الصلاة من الشيطان، ولا بما يحدث به نفسه .. وقد قال المؤمنون: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) (البقرة: ٢٨٦)، وقد قال الله: قد فعلت.

---

(١) متفق عليه: البخاري في التوحيد (١٣/٣٨٤) ومسلم في التوبة رقم (٢٧٥١) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم في الأشربة من حديث جابر رضي الله عنه رقم (٢٠١٢).

والنسيان للحق: من الشيطان، والخطأ: من الشيطان، والاحتلام في المنام: من الشيطان، ولكن الله بفضله .. تجاوز عنه. كما قال رسول الله ﷺ: (رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[1]، وقال: (إن الله تجاوز عن أمتي ما تحدث به نفسها .. ما لم تقل أو تفعل)[2]، وقال: (رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعقل، والغلام حتى يبلغ الحلم)[3].

ولما كانت الذنوب هي ركيزة الشيطان في التسلط، فإن الله عز وجل بفضله قد جعل في حسابه للعباد ما يهدم للشيطان تلك الركيزة .

والقاعدة الأولى: هي قول الله عز وجل للنبي ﷺ ليلة الإسراء: (خمسٌ في العمل .. وخمسون في الأجر)[4] .. يعني الصلاة، (وإذا هَمَّ أحدكم بحسنة فلم يعملها .. كتبت له حسنة .. فإذا عملها كتبت له عشرا، وإذا هَمَّ أحدكم بسيئة فلم يعملها .. كتبت له حسنة .. فإذا عملها طرحت عليه سيئة)[5].

كما سبق قول النبي ﷺ أنه إذا عمل الإنسان سيئة فإن ملك الحسنات يقول لملك السيئات: (أمهله لعله يستغفر) فإذا استغفر العبد .. فإن السيئة لا تكتب، وإذا لم يستغفر بعدها وكتبت .. ثم عمل العبد بعدها حسنة .. فإن الله يذهب السيئة بالحسنة، كما قال سبحانه: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود: ١١٤) بل إن السيئة بنفسها تصير حسنة، لقوله عز وجل: (فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) (الفرقان: ٧٠).

والقاعدة الثانية: أن لله فضلا على أمة النبي ﷺ خاصة، وهي مضاعفة أجرها قياسًا لأجر الأمم السابقة مرتين، وذلك لقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد: ٢٨،٢٩)

---

(١) صحيح أخرجه الطبراني في الكبير (٢/٩٧) ، وهو عند ابن ماجة (٢٠٤٥) والحاكم (٢/١٩٨).
(٢) متفق عليه: البخاري في الأيمان والنذور (١١/٥٤٨) ومسلم في الأيمان رقم (١٢٧).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٠١،١٠٠) وأبو داود (١٢/٧٢) وابن ماجة (٢٠٤١) وغيرهم.
(٤) متفق عليه: روى البخاري ومسلم أصله .. البخاري في الصلاة (١/٤٥٨) ومسلم في الأيمان رقم (١٦٣) عن أبي ذر.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (١٣/٤٦٥) ومسلم في الأيمان (١٢٨) عن أبي هريرة.

وقول النبي ﷺ تفسيرا لهذه الآية: (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم .. ما بين صلاة العصر إلى مغرب العشاء، وإن مثلكم ومثل اليهود والنصارى .. كرجل استعمل عمالا .. فقال: من يعمل لي نصف النهار على قيراطٍ قيراط ؟

فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ..

ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟

فعملت النصارى إلى نصف النهار على قيراط قيراط ..

ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين ..

ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين .. ألا لكم الأجر مرتين ..

فغضب اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً !! . قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئا ؟!

قالوا: لا ..! قال: فإنه فضلي .. أعطيه لمن شئت)[1].

والدليل على أن الحكم الشرعي هو الحد الفاصل في التسلط: هو أن النبي ﷺ عندما ذهب إلى الجن ليدعوهم إلى الإسلام وضع خطًا لعبد الله بن مسعود وقال له: (لو تجاوزت هذا الخط لاحترقت)[2] والذي رسم الخط هو النبي ﷺ .. فصار هذا الخط فاصلاً للاحتراق.

فمن حيث الواقع .. لا يختلف الموضع الذي قبل الخط والذي بعده، ولكن الخط باعتباره أمرًا شرعيًا يجب الالتزام به، كان مانعا من تسلط الجن.

ووجه الفضل الإلهي في تقييد التسلط بالأحكام الشرعية .. هو يسر تلك الأحكام لقول الله: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)

وقوله: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨).

وبذلك التيسير .. صارت نجاة الإنسان من الشيطان أمرًا يسيرًا، ورغم ذلك .. فالتسلط قائم والنجاة محدودة !!

---

(١) البخاري في الأنبياء (٦/٤٩٥) عن أبي عمر وكرره في مواضع أخرى من الصحيح.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير، وأبو نعيم من حديث ذكره ابن كثير في تفسير الأحقاف (٦/٢٩٤) على أن رواية ابن أبي نعيم فيها بلفظ: (فإنك إن خرجت منها هلكت) ليس: «احترقت» وفي بعضها: «اختطفت».

ولذلك يقول النبي ﷺ في ذلك: (خصلتان -أو خلتان- لا يحافظ عليهما عبد مسلم .. إلا أدخله الجنة، وهما يسير .. ومن يعمل بهما قليل !!

يُسبح الله في دبر كل صلاة: عشر مرات، ويحمده عشرا، ويكبره عشرا .. ذلك خمسون ومائة باللسان .. وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، فذلك مائة باللسان وألف بالميزان . قال الراوي: وقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده ..

قالوا: يا رسول الله ! كيف هما يسير .. ومن يعمل بها قليل ؟! قال: يأتي أحدكم -يعني الشيطان- في منامه فينومه قبل أن يكون .. ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها !) [1].

---

(١) صحيح: رواه جماعة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمرو بن العاص منهم : شعبة وسفيان الثوري ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة وغيرهم .

فأما رواية شعبة عنه فرواها أحمد في مسنده (٢/٢٠٥) وأبو داود (١٣/٤٠٢) وأما رواية الثوري فرواها البخاري في الأدب المفرد (٢/٦٢٣) والنسائي في اليوم والليلة رقم (٨١٩) والحميدي (١/٢٦٥) في مسنده ، وأما رواية حماد بن زيد فرواها النسائي في سننه (٣/٧٤) ، وأما رواية حماد بن سلمة فرواها ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٤٩) باب فضل من بات طاهرا

ورواه الترمذي رقم (٣٤١٠) ابن ماجة رقم (٩٢٦) وابن حبان رقم (٢٠١٢) عن إسماعيل بن علية عن عطاء.

منهج الدعوة .. بتصور هذه القضية

الحقيقة أن هناك ارتباطًا بين التصور الإسلامي عن الشيطان وبين التحديد المنهجي للدعوة، وهذا الارتباط من العمق بحيث يمكن القول بأن الصواب في أي تحديد منهجي .. رهن بها بهذا التصور، وذلك من حيث التحقيق الكامل لمعنى الحكمة الذي يعتبر أساسًا جوهريًا لمنهج الدعوة .. والذي يعتبر في نفس الوقت -وحسب هذا التصور- المعنى المقابل لعمل الشيطان.

ومن أدلة التقابل والتضاد بين معنى الحكمة وبين عمل الشيطان، هو حادثة شق الصدر للرسول ﷺ في المرة الأولى لنزع حظ الشيطان .. وفي المرة الثانية لملء الصدر حكمةً وإيمانًا.

ونزع حظ الشيطان من صدر رسول الله ﷺ قبل أن يُملأ حكمةً وإيمانًا .. دليلٌ على أن الحكمة وأثر الشيطان .. لا يتفق وجودهما في قلب واحد، وقد قال رسول الله ﷺ في أهل اليمن: (الإيمان يماني .. والحكمة يمانية)[1].

وعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ (الإِيمَانُ هَا هُنَا. وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ، وَالْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِى الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)[2]. وفي رواية أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، السَّكِينَةُ فِى أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِى الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ)[3].

ووصف أهل اليمن بالحكمة في مقابل أصحاب الشعر والوبر والإبل حيث يخرج «قرنا الشيطان» دليل على أن الحكمة وعمل الشيطان .. لا يتفق وجودهما في واقع واحد .. كما لا يتفق وجودهما في قلب واحد.

---

(١) متفق عليه: البخاري في المغازي (٨/٩٨) ومسلم في الإيمان رقم (٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري في المغازي (٨/٩٨) ومسلم في الإيمان رقم (٥١) عن أبي مسعود الأنصاري واللفظ لمسلم.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري بمعناه (٨/٩٨) ومسلم واللفظ له رقم (٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كنا قد اتفقنا على أنه لمفهوم الحكمة أربعة جوانب أساسية هي[1]:

الحق، والإنسان، والواقع، والغاية .. فإن تحديد هذه الجوانب من خلال التصور الإسلامي للشيطان .. سيحقق لمفهوم الحكمة عمقًا لازمًا .. وتأصيلاً ضروريًا.

فإذا كان أول مقتضيات الحكمة هو الالتزام بالحق .. باعتباره قضية الدعوة، فإن مضمون هذا الحق هو عبادة الله واجتناب الطاغوت: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦).

وهذه صيغة لمضمون الدعوة على لسان إبراهيم، شغل فيها التحذير من الشيطان حيزا ضخما في نصوص الدعوة، حيث جاءت الصيغة في أربعة مواضع .. منها موضعان جاء فيهما التحذير من الشيطان وذلك قول الله عز وجل: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) (مريم: ٤١-٤٥)

وباعتبار أن الشرع حرز أصلي من الشيطان، فإن الالتزام الشرعي الكامل في تحديد منهج الدعوة أصلا هو الذي سيحقق الحرز من الشيطان وأوليائه في مجال الدعوة.

وإذا كان من مقتضيات الحكمة تكوين الإنسان الداعية وفقا لمنهج تربوي محدد .. بهدف الوصول لمرحلة الربانية، التي يتفق بها الإنسان مع الحق .. فإن مرحلة الربانية — باعتبار تلك القضية — تعني الوصول بالدعاة إلى مرحلة عباد الله المخلصين الذين لا يستطيع الشيطان أن يتسلط عليهم.

ومن هنا فإن أصول منهج التربية التي تتحقق ربانية الدعاة .. هي نفسها أصول الحرز من الشيطان ..!

فمن حيث أن أحكام المنهج بالاعتبار الشرعي هي عدة نوافل .. فإن الله سبحانه قال في أصحاب النوافل: (ما تقرب إليّ عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه .. ولئن سألني لأعطينه، ولئن أستعاذني لأعيذنه)[2].

---

(١) يراجع كتاب حكمة الدعوة للمؤلف.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (١١/٣٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كانت أحكام المنهج هي: الصلاة والصيام والإنفاق والذكر ..

فإن الرسول ﷺ قال في الصلاة: (إذا سجد ابن آدم .. أدبر الشيطان يبكي)[1].

وقال في الصيام: (صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ، وَيُذْهِبُ مَغَلَّةَ الصَّدْرِ. قَالَ قُلْتُ: وَمَا مَغَلَّةُ الصَّدْرِ قَالَ: رِجْسُ الشَّيْطَانِ)[2].

وفي الإنفاق قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٧-٢٦٨)

وفي الذكر قال النبي ﷺ على لسان يحيى عليه السلام: (وآمركم أن تذكروا الله .. فإن مَثَل ذلك كمثل رجل خرج العدوُّ في أثره سراعا .. حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه منه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان .. إلا بذكر الله)[3].

وبالالتزام بمنهج التربية يتحقق في الدعاة صفة عباد الله المخلصين .. الذين لا يستطيع إبليس التأثير عليهم.

وبخروج الداعية عن تسلط الشيطان، وممارسته للدعوة إلى دين الله، ينشأ في نفسه شعور بأنه طرف مقابل في الصراع مع الشيطان ذاته .. وليس فقط مع أعداء الدعوة من البشر !

ويذكر الطبري قولاً لابن عباس يقول فيه: (والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحد أحب إلى الشيطان هلاكا مني. فقيل: وكيف ؟! فقال: والله إنه ليُحدثُ البدعة في مشرق أو مغرب .. فيحملها الرجل إليّ .. فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها).

وهذا هو الإحساس الواجب في مواجهة تركيز الشيطان على الدعاة.

إذ يجب أن يكون عند الداعية إحساسه بأنه هو بعينه .. وبشخصه .. وبإسمه .. هدفٌ للشيطان ..

---

(١) رواه مسلم رقم (٨١) من حديث أبي هريرة بلفظ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة .. اعتزل الشيطان يبكي).

(٢) صحيح لغيره، أخرجه أحمد (٥/١٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٩١، ٣٨٥٦) والبزار (١/٤٩٤).

(٣) صحيح : أخرجه الترمذي في الأمثال رقم (٢٨٦٣)، وفي المسند (٤/١٣٠) من حديث الحارث الأشعري.

لأن هذا الإحساس هو الذي ينشئ الموقف اللازم لمواجهة هذا التركيز.

كما أن هذا الإحساس يحقق الكمال في تصور الداعية عن طبيعة الصراع بين الإسلام والجاهلية على أنه صراع في الحقيقة مع الشيطان.

وإذا كان من الحكمة إنشاء الواقع الصحيح للدعوة .. وكانت الجماعة هي هذا الواقع .. فإن القيمة الأساسية لتلك الجماعة بتصورنا الإسلامي عن الشيطان هي أنها حرز منه ..

بدليل قول رسول الله ﷺ: (فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، لا يخلون أحدكم بامرأة .. فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرَّتهُ حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) (١).

وإذا كان الحرز من الشيطان هو القيمة الأساسية للجماعة، فإن اختيار الأفراد الذين تقوم بهم تلك الجماعة يجب أن يبلغ من الدقة درجة، يمتنع بها تسلل الشيطان إلى الجماعة لتخريبها من خلال فرد غير صالح، أو اختيار غير سليم ..

حيث أن الوجود الإسلامي الصحيح هو الذي سيحقق خنس الشيطان وأوليائه عند المواجهة.

وقيمة الجماعة كحرز من الشيطان بالكثرة العددية المأخوذ من قول النبي ﷺ: (الشيطان بعيد عن الاثنين، وهو عن الثلاثة أبعد) لا يعني تحقيق الكثرة دون الاختيار الصحيح .. ودون العلاقة الصحيحة بين الأفراد.

ولتوضيح قيمة الاختيار والعلاقة بجانب الكثرة نضرب هذا المثل: فلو أن رجلاً صلى بمفرده، فإن صلاته تقل عن صلاة الرجل مع الرجل بسبع وعشرين درجة وتلك قيمة الجماعة ..

ولكن لو ترك الرجلين بينهما ثغرة في الصلاة .. فإن الشيطان يكون فيهما.

فإذا قارنا بين صلاة الفرد وصلاة الرجلين بينهما ثغرة .. نرى أن خطر الثغرة بين الاثنين لا يقل خطر الانفراد.

وعلى هذا يكون مفهوم الجماعة التي تحقق الحرز من الشيطان هو:

الكثرة الصحيحة .. القائمة على الاختيار الصحيح .. والعلاقة الصحيحة.

---

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١/١٨) قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، ورواه الترمذي رقم (٢١٦٥).

وإذ كان من الحكمة ضرورة تقييم الواقع الجاهلي، فإن التقييم على أساس تلك القضية يعني الرجوع في ذلك التقييم إلى علاقة الشيطان بهذا الواقع الجاهلي.

والبعد النهائي للعلاقة بين الشيطان والجاهلية هو أن الجاهلية صنعة الشيطان ودعوته: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) (إبراهيم:٢٢).

والعلاقة بين الشيطان والواقع الجاهلي بديهية بلغت بداهتها أن يدركها هدهد سليمان، حيث قال الهدهد لسليمان في تقييمه لملكة سبأ: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ) (النمل: ٢٢ — ٢٤٤)

فالجاهلية صنعة إبليس .. وخصائصها من أعماله.

والربط الدقيق بين هذه الخصائص وتلك الأعمال .. هو الذي يحدد التفسير الإسلامي لأدق المظاهر الجاهلية.

وهذا نموذج للربط المطلوب تحقيقه في حدود الاتجاه الصليبي باعتباره أخطر الاتجاهات الجاهلية على الإسلام.

فبالتقييم الأساسي للواقع الصليبي .. يتأكد أن الصليبية واقع شيطاني خطير.

ويمكن إثبات هذه الحقيقة ببساطة متناهية .. بحيث لا يتطلب الأمر إلا تفكيرا قليلاً في مظاهر هذه الديانة، حيث إن هذه المظاهر في مجموعها تمثل أهم الأسباب التي تحضر بها الشياطين وتمتنع بها الملائكة.

الصليب: هذا الشكل البغيض الذي أمر الله سبحانه وتعالى بمحقه ونقضه .. بدليل قول رسول الله ﷺ: (أمرني ربي عز وجل بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصلب وأمر الجاهلية)[1].

وبدليل قول عائشة: (ما وجد رسول الله ﷺ تصاليب إلا نقضها)[2].

(١) أخرجه الطيالسى (١١٣٤) ، وأحمد (٥/٢٦٨ ، ٢٢٣٦١) ، والطبرانى (٨/١٩٦ ، ٧٨٠٣) . قال الهيثمى (٥/٦٩) : فيه على بن يزيد ، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/٣٨٥)، وكلمة تصاليب تعني مجرد الشكل ، سواء بقصد أن يكون صليبا يعبد ، أو بدون قصد . ولذلك قال الإمام البخاري في كتاب المظالم: «فإن كسر صليبا أو صنما وما لا ينتفع بخشبه لم يقض فيه شئ» .

العلاقة بين الصليب والشيطان:

وبنفس المنطق الذي فرض به عجل السامري .. تفرض الصليبية شكل الصليب ! وبذلك تفرض الصليبية أكبر نطاق للحضور الشيطاني في الواقع البشري.

فكما صنع السامري العجل لليهود من الذهب فانعكس التعظيم النفسي للمعدن على العجل، كذلك يصنع الصليب من الذهب لتكون له قيمة مادية فتتقبله النفوس وتعظمه .. وهذا عدي بن حاتم يدخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب فيقول له: (يا عدي ! اطرح عنك هذا الوثن)[1].

كما يصنع الصليب كأساس فني لأشكال المباني ونقوش الأقمشة والمفروشات والملابس .. ليملأ حياة الناس بهذا الشكل شيطنة وتسلطا ..!

وهذه عائشة ترى امرأة تلبس ثوبا فيه تصاليب فتقول لها: (إن رسول الله ﷺ كان إذا رآه في ثوب قضبه)[2] أي مزقه.

الخنزير: وهو قرين الصليب في عداء المسيح إلى آخر الزمان، كما قال ﷺ: (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا .. فيكسر الصليب .. ويقتل الخنزير .. ويضع الجزية)[3]. لتنتهي بيد المسيح أفظع بدعة في التاريخ.

والخنزير هو المخلوق المقترن بعبدة الطاغوت في المسخ، بدليل قول الله سبحانه: (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) (المائدة:٦٠).

التماثيل والصور: وهي السمة البارزة في هذه الديانة، وارتكازًا على إدراك النفس البشرية في أعمال الشيطان .. يتم اختيار المناظر التي يشيعونها بين الناس، بحيث تكون مشحونة بمؤثرات نفسية طبيعية:

- الصورة التي يدعون أنها المسيح مصلوبا ..
- الأم مريم تحتضن المولود عيسى ..

مناظر لا يملك الإنسان العادي حين يراها إلا أن يتأثر .. باعتبار نفسي بحت !

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥) وحسنه الألباني.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٢٥,٢١٦,١٤٠) من طريق عائشة رضي الله عنها وسنده صحيح.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥/١٢١) ومسلم رقم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الكهانة: التي تتنزل بها الشياطين، كما قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى الطَّٰغُوتِ) (النساء:٦٠) قال: كهان ينزل عليهم الشيطان.

والكهانة هي الرئاسة في الكفر، وهي متحققة من خلال العلاقة التقليدية بين الفرد الصليبي والقساوسة[1].

السحر: وهو أسلوب صليبي قديم .. يقول ابن كثير في السيرة النبوية: (إن أبرهة بنى كنيسة .. كل من أخذ حجرا منها .. أصابته، لأنه بناه باسم صنمين).

ويقول ابن خلدون في المقدمة: (وإن أعظم الناس في السحر .. هم أهل بابل .. وأقباط مصر).

وارتباط الصليبية بالسحر فكرة حركية خطيرة، ذلك أن الصليبية قضية غير معقولة استيعابها عقلا، فكان لا بد من أن تدخل الصليبية إلى الكيان الإنساني بمؤثرات غير عقلية، فكان السحر من أهم المؤثرات .. باعتباره تأثيرا غير عقلي.

الجنس: ويوازي السحر في تلك الخطورة .. المؤثر الجنسي، باعتباره هو الآخر منفذًا غير عقلي إلى كيان الإنسان.

كيد الشيطان بأساليب الصليبية:

وفيه يقول ابن تيمية: «وقد صنّف بعض الناس مصنفا في حيل الكهان مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتا، بأن يكون الزيت في جوف المنارة، فإذا نقص صب فيها ماء فيطفو الزيت على الماء، يظن الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتًا.

ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب أسفل منه نخلة، فأراه النخلة صعدت شيئا حتى حازت الدير، فأخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض، إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتى تصعد السفينة، وإذا صرف الماء إلى موضع آخر هبطت السفينة.

ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة مريم، وهو أنهم يضعون

---

(١) حتى الصلاة تؤدى بلغة قبطية لا يفهمها الفرد ، وما عليه إلا أن يردد كلمة قبطية واحدة حفظها لهذه الضرورة .. وهي كيريالسيون .. ومعناها بالعربية: آمين أو: يارب استجب، فيقول القسيس ما يريده ثم يردد الأفراد: «كيرياليسون .. كيرياليسون» .. تقليد كامل .. تفويض نهائي .. استسلام مطلق .. وتلك هي الكهانة.

فالصور تمنع الملائكة .. وتنزل اللعنة: عن مسلم بن صبيح قال: كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل مريم، فقال مسروق: هذا [1] تماثيل كسرى، فقلت: لا .. هذا تماثيل مريم، فقال مسروق: أما أني سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: (أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون .. إن المكان الذي فيه صورة .. لا تدخله الملائكة) [2].

التقويم الميلادي ويوم الأحد: وقد ذكرنا أن بداية التقويم الميلادي يرجع إلى عام ٤٢٤٢ قبل الميلاد، وبدأه كهنة معبد هليوبوليس الذين كانوا يعبدون الشمس.

أما يوم الأحد: فإنه لما ظهرت الماسونية وانتشرت في بقاع الدولة الرومانية بعد ظهور المسيحية، ونافستها أشد منافسة في آسيا الصغرى وبلاد الروم من آسيا وأوربا، فامتلأت معاهد الدينيين بالكلام عن الشيطان واستصوب أناس من آباء الكنيسة أن ينتزعوا شعائر عباد النور، فجعلوا يوم الأحد[3] يوم الأسبوع المختار، لأنه كان مخصصًا لعبادة الشمس، وجعلوا اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر يوم الميلاد، لأنه كان يوما ينصرف فيه الصليبيون إلى سهرات الوثنيين، لاعتقاد هؤلاء أنه اليوم الذي ينقص فيه الليل ويطول النهار .. يعني انتصار النور على الظلام.

الجرس: الصوت الذي قال فيه ﷺ: (الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ) [4]، وقال: (إِنَّ لِهَذِهِ الْأَجْرَاسِ تَابِعًا مِنَ الشَّيْطَانِ) [5]، وأمر بقطع الأجراس من أعناق الدواب [6]، كما قال: (لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ) [7].

وقال: (لَا تَقْرَبُ الْمَلَائِكَةُ عِيرًا فِيهَا جَرَسٌ وَلَا بَيْتًا فِيهِ جَرَس) [8].

---

(١) اسم إشارة للفعل هو (التمثيل) ولذلك جاء مفردا.

(٢) حديثان صحيحان: الأول أخرجه مسلم رقم (٢١٠٩) من حديث ان مسعود رضي الله عنه، والثاني أخرجه البخاري (٤/٣٢٥) ومسلم رقم (٢١٠٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) ولهذا كان يوم الأحد بالانجليزية معناه: يوم الشمس.

(٤) رواه مسلم في باب كراهة الكلب والجرس في السفر (٥٦٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٦٣١).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٦/١٥٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) رواه ابن حبان وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١١٩).

(٧) أخرجه مسلم (٢١١٣) وغيره عن أبي هريرة.

(٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٠٥) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وقد كان تعليق الأجراس للصبيان والدواب عادة جاهلية لإبعاد أذى العين.

كحلا في ماء متحرك حركة لطيفة ، فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة .. فيخرج من عينها فيظن أنه دموع.

ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها القونة بصيدنايا ، وهي أعظم مزاراتهم بعد القيامة وبيت لحم، حيث ولد المسيح وحيث قبر في زعمهم، فإن هذه هي صورة السيدة مريم، وأصلها حشة نخلة سيقت بالأدهان حتى سمنت، وصار الدهن يخرج منها مصنوعا .. يظن أنه من بركة الصورة.

ومن حيلهم الكثيرة التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم في قمامة، وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى ورأوها بعيونهم أنها نار مصنوعة، يضلون بها عوامهم يظنون أنها نزلت من السماء، ويتبركون بها، وإنما هي صنعة صاحب محال وتلبيس».

وقد أورد ابن كثير [1] حكاية عن بعض الرهبان، وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلقي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به، فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله، وتوصل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلت الريح يسمع له صوت كصوت ذلك الطائر، وانقطع في صومعة ابتناها وزعم أنه على قبر بعض صالحيهم، وعلق ذلك الطائر في مكان منها، فإذا كان زمان الزيتون فتح باب من ناحيته، فتدخل الريح إلى داخل هذه الصورة، فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضا فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيرا، فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة، ولا يدرون ما سببه، ففتنهم بذلك وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ومثل ذلك كثير من حيل النصارى .. فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق، إما حيل شيطانية وإما حيل بهتانية، ليس فيها شيء من كرامات الصالحين» [2].

وإذا كانت هذه هي أساليب الصليبية منذ عدة قرون ..

(١) ابن كثير ص ٢١١ جـ١ تفسير: (يعلمون الناس السحر).

(٢) كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» فصل حيل الرهبان.

وإذا كانت الجاهلية تجربة واحدة .. بدأها إبليس منذ معصيته، وسيظل قائما عليها إلى يوم الوقت المعلوم ..

فماذا يعني التطور الطبيعي لهذه الأساليب، وذلك الكيد .. ؟!

وبمقدار قوة تصورنا لهذا التطور يكون الإحساس بالخطر القائم الآن ..

الآن .. الآن !!

وإذا كان من مقتضيات الحكمة تحديد الغاية النهائية للدعوة ؛ فإن هذا التحديد يَعني بتصور تلك القضية:

– الحذر من أن يقطع الشيطان علينا سبيل الوصول إلى تلك الغاية ..

وهذا معنى قول الله عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحج:٥٢)

حيث أن الأمنية .. هي الغاية، وإلقاء الشيطان:

– إما أن يكون بصورة فكرية في تحديد منهج الدعوة بأن يحدث الخطأ في لفظ المبلغ .. أو في ذهن السامع ..

– أو قطع طريق الوصول إلى الغاية في واقع الدعوة بصورة عملية ..

مثلما حاول أن يلقي يوسف في السجن، فأنسى صاحبه أن يذكره عند الملك .. (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (يوسف: ٤٢)، وبذلك أصبح صاحب يوسف ثغرة، نفذ الشيطان منها إلى أحداث يوسف في مرحلتها الأساسية والحرجة ..

ومثلما حاول الشيطان أن يمنع لقيا موسى والخضر، فأنسى خادمه أن الحوت قد أخذ طريقه في البحر سربا .. لأن هذه كانت علامة اللقيا .. (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (الكهف: ٦٣).

وإذا كنا قد اتفقنا على أن منهج الدعوة له ثلاثة أبعاد وهي: التبليغ بالكلمة .. واستخدام القوة .. وقيام السلطة .. فإن تحديد هذه الأبعاد بتصور قضية الشيطان يؤكد التقابل الكامل بين واقع الدعوة وعمل الشيطان.

فأما التبليغ بالكلمة: فقد جاء كأسلوب مقابل لعمل الشيطان فى عدة نصوص ففي سورة فصلت: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت:٣٣-٣٦)

وفى سورة الأعراف: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١٩٩-٢٠٠).

وبصفة عامة جاء في تعامل الدعاة مع الناس قول الله: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (المؤمنون: ٩٦-٩٨).

وواضح من النصوص أنها توجيه الى الدعاة بالتعامل الواجب مع البشر، وهو الدفع بالتي هي أحسن، مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، حيث أن هذه الاستعاذة هي الصورة الواجبة لمواجهة الشيطان.

وقد سبق حديث رسول الله ﷺ الذي يؤكد قعود الشيطان لابن آدم على طريق الدعوة، وهي قوله ﷺ: (إن الشيطان قعد لابن آدم في كل أطرقه .. قعد له بطريق الاسلام .. قعد له بطريق الهجرة .. قعد له بطريق الجهاد ..)[1].

ولذلك يقول الامام ابن القيم: «ومن كيد عدو الله: يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم»، وذلك فى تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥).

وفي القتال واستخدام القوة جاء ذلك التقابل مع الشيطان فى قول الله: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: ٧٦).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٨٣) والنسائي (٢١، ٦/٢٢) وابن حبان (٧/٥٧) وقد ورد كاملا في بداية الكتاب.

وواضح من الآية أن البشر الكافرين ضعفاء فى القتال بتبعيتهم للشياطين ..
وأن الشياطين يزداد ضعفها بقوة البشر المؤمن .. ودليل ذلك قول الله عز وجل: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) (الأنفال: ٦٠).

وقوله: (تُرْهِبُونَ) أي تخوفون (بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أي من الكفار (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) قال مجاهد: يعني قريظة، وقال السدي: فارس . وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: هم الشياطين التى فى الدور.

وقال ابن أبي حاتم: إن رسول الله ﷺ كان يقول: (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) هم الجن.

ومن هنا كان انتصار البشر المؤمنين على البشر الكافرين .. فيه خذلان لشياطين الجن، ودليل ذلك هو خزي الشيطان يوم بدر (يراجع ابن كثير ص ١٦٦ ج٢).

وبذلك التفسير تبرز حقيقة خطيرة للغاية .. وهي: علاقة الجن الكافر بالبشر الكافرين في واقع الصراع بين الجاهلية والإسلام، حيث صرّح أبو لهب بحقيقة الارتباط، وأدخله في حساباته عندما كان يواجه الدعوة ..

وهو ما أورده الإمام أحمد والطبراني، وما رواه أيضا محمد ابن اسحاق: حدثني حسين ابن عبد الله ابن عبيد الله ابن عباس قال: سمعت ربيعة ابن عباد الديلي يقول: (إني لمع رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة، يقف خلف رسول الله على القبيلة فيقول: يا بني فلان .. إني رسول الله إليكم جميعًا.. آمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئًا.. وأن تصدقوني وتمنعوني.. حتى أنفذ عن الله ما بعثني به، وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان ! هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفائكم من الجن من بني مالك بن أقيش .. إلى ما جاء به من البدعة والضلالة .. فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال هذا عمه .. أبو لهب)[1].

وكما تدخل الجاهلية فى حساباتها ارتباط البشر الكافرين بالشياطين من الجن، ففي المقابل تُدخل الدعوة في حساباتها هذا الارتباط فى أسلوب مواجهتها للكافرين ..

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٩٢) والطبراني في الكبير (٥/٦٣) وفي إسناده ضعف.

حيث تقوم تلك المواجهة على مدى وطبيعة العلاقة بين هؤلاء الكافرين وأوليائهم من الشياطين ..

فباعتبار أن الناس وسيلة من وسائل الشيطان في عمله، فإن الحركة القتالية يجب أن ترتبط بهدف هدايتهم قبل قتلهم، لأن الهداية هي الهدم الحقيقي الكامل لهدف الشيطان، أما قتل الكافر فيعني أن الشيطان قد حقق نتيجة موته على الكفر.

ومن هنا كان ارتباط حرمة القتال في الأشهر الحرم بتلك القضية، هو إدخال مقياس حركي دقيق في منهج الدعوة يتحقق به التصور الصحيح عن الشيطان الذي يهدف إلى أن يموت كل البشر على الكفر، ومواجهة هذا الهدف بتقديم هدف الهداية على هدف القتل. ولذلك فإن حرمة القتل في الأشهر الحرم في مكة موجهة توجيها مباشرا إلى إبليس .. إنقاذا للكافر بإعطائه فرصة هداية قبل القتل .. ومن هنا فإن أئمة الكفر المشركين مع إبليس (في صفة الفاعل الأصلي للشر) لا ينالون تلك الحرمة.

لذلك أمر الله سبحانه بقتل كل من تحققت فيه هذه الصفة حتى ولو كان متعلقًا بأستار الكعبة [1].

وفي نهاية أساليب الحركة الإسلامية المحددة بتصور الإسلام عن الشيطان .. يتقرر أن النصر باعتباره الهدف النهائي لتلك الأساليب لن يتحقق .. إلا بالتخلص النهائي من كل آثار الشيطان في واقع الدعوة، ومن هنا كان الاستغفار من الذنوب باعتبارها أخطر هذه الآثار .. سببًا أصليًا في النصر وفي هذا جاء قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٨٦) ..

فكانت هذه الآية الجامعة للعلاقة بين المغفرة والنصر .. هي أهم آيات الحرز من الشيطان !

---

(١) مثل ابن خطل الذي قالوا فيه لرسول الله ﷺ : (إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه !). وغيره من أئمة الكفر الذين أحل الرسول ﷺ قتلهم في مكة وفي الأشهر الحرم، وكذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين وجه الناس إلى الشام قال: «إنكم ستجدون قوما مجوفة رءوسهم ، فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيوف ، فوالله لأن أقتل رجلا منهم، أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم، وذلك بأن الله يقول: (فقاتلوا أئمة الكفر) (التوبة:١٢)» ابن كثير.

وفي غزوة بدر كان من أهم أسباب نزول الماء من السماء .. هو إذهاب رجز الشيطان بدليل قول الله: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) (الأنفال:١١).

والحقيقة أن الارتباط الثابت بين الكافرين والشياطين في منهج الدعوة .. ينقلنا إلى ارتباط مقابل .. وهو الارتباط القائم بين المؤمنين والجن المسلم في واقع الصراع بين الجاهلية والإسلام.

ومنهج الدعوة بتصور تلك القضية يبرز مسألة هامة .. وهي موقف الجن المسلم من واقع الدعوة الإسلامية.

وإسلام الجن يعني مباشرة اتخاذ موقف الدعوة له، وهؤلاء هم إخواننا الجن الذين صرفهم الله لسماع القرآن ولَّوا إلى قومهم منذرين، وإسلام الجن لا يعني مجرد الإمتناع عن الشر، ولكن يعني في نفس الوقت الأمر بالخير، ولذلك يقول الرسول في قرينه الجني الذي أسلم: (إلا أن الله أعانني عليه فأسلم .. فلا يأمرني إلا بخير)[1].

أما التحديد الحركي لموقف الجن المسلم فيكون بعدة حقائق:

أن موقف الجن المسلم تابع لموقف الإنسان المسلم من حيث الولاء والتنظيم الحركي، بدليل بيعة الجن للنبي ﷺ، وموقف الجن المؤمن ليس مقيدا بحياة النبي ﷺ، كما أنه ليس مجرد حقيقة شرعية أو اعتقادية، ولكنه موقف عملي مستمر ..

ولذلك فإننا سنذكر حادثة نثبت بدلالتها هذه الصفة الإستمرارية والعملية، من حيث كونها ليست في عهد النبي ﷺ .. بل في القرن السادس الهجري.

وذلك عندما ألقي القبض على الإمام ابن تيمية وحبس في سجن القلعة بمصر فوصف ذلك قائلا: (كما جرى مثل هذا لي كنت في مصر في قلعتها وجرى مثل هذا إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الأمير أن أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل ملك ماردين إلى ملك مصر رسولا، وكنت في الحبس، فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس،

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولكن كان هذا جنيا يحبنا فيصنع بالترك مثل ما كنت أصنع بهم، كلما جاءوا دمشق كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، ففعل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد إكرامي، ليظن ذلك أنني أنا الذي فعلت ذلك، قال طائفة من الناس لي: فلم لا يكون ملكا ؟ قلت: لا .. إن الملك لا يكذب. وهذا قد قال: أنا ابن تيمية .. وهو يعلم أنه كاذب في ذلك)[1].

وهذه الحادثة تثبت أن الوضع الإنساني في مجال الدعوة هو المقياس الأساسي للصراع، من حيث أساليب الحركة لأن الجني الذي اراد أن يمارس الدعوة في واقعنا البشري لم يسعه إلا تقليد ابن تيمية في أسلوب دعوته.

وإثبات تبعية موقف الجن المسلم للبشر المسلمين من حيث الولاء ومن حيث أساليب الحركة .. يعمق الإحساس بمسؤولية أصحاب الدعوة التي يدخل تحتها إمكانيات الجن والإنس.

وكما يشعر الدعاة إلى الله من البشر بالغربة في الجاهلية، كذلك يشعر الدعاة إلى الله من الجن، فنراهم يقتربون من واقع الدعوة البشري اعتزالا لواقع الشياطين وحبًا ومودةً وولاءً للمسلمين، ولذلك يقول الرسول ﷺ: (إن بالمدينة جنًا أسلموا، فإذا رأيتم منه شيئا فآذنوه ثلاثة أيام [2] فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه؛ فإنما هو شيطان)[3]. وعن صفوان بن المعطل قال: (خَرَجْنَا حُجَّاجًا، فَلَمَّا كُنَّا بِالْعَرْجِ إِذَا نَحْنُ بِحَيَّةٍ تَضْطَرِبُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَتْ، فَأَخْرَجَ لَهَا رَجُلٌ مِنَّا خِرْقَةً مِنْ عَيْبَةٍ لَهُ، فَلَفَّهَا وَخَدَّ لَهَا فِي الأَرْضِ، ثُمَّ قَدِمْنَا مَكَّةَ، فَإِنَّا لَبِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا شَخْصٌ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ صَاحِبُ عَمْرِو بن جابر؟ فَقُلْنَا: مَا نَعْرِفُهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ صَاحِبُ الْجَانِّ؟ قَالُوا: هَذَا، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ كَانَ آخِرَ التِّسْعَةِ مُؤْمِنًا الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)[4].

---

(١) رسالة (الفرقان .. بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) للإمام ابن تيمية.
(٢) وهي مدة إكرام الضيف، والايذان هو أن تقول في البيت: «اخرج إنا لا نريد لقاءك» ثلاث مرات.
(٣) أخرجه مسلم في السلام (٢٢٣٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(٤) رواه أحمد (٥/٣١٢) والحاكم (٦٢٠٧) وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وفي سنده عمر بن نبهان، وهو متروك.

قيام السلطة الإسلامية:

تبيّن لنا مما سبق أن المعنى الأساسي للحرز هو: التقابل الكامل مع عمل الشيطان وتحركه ..

كما تبيّن أن السلطة مذهب أساسي في تلك الحركة ..

ومن ذلك يصبح ضروريًا أن تقوم السلطة الإسلامية باعتبارها .. الوضع المقابل لسلطة الشيطان!

كما تبين أن إمارة عمر بن الخطاب بعد خوف الشيطان منه .. كانت حرزا للأمة من الشيطان.

ومن هنا يصبح ضروريا في قيام السلطة الإسلامية:

أن يكون المسلم الذي سيتولى هذه السلطة .. أبعدَ ما يكون في شخصه عن تسلط الشيطان، وبذلك يجب أن تكون الأسباب التي حققت خوف الشيطان من عمر [١] خصائص شخصية .. في كل حاكم مسلم يتولى سلطة إسلامية.

أما الأسباب التي تحقق بها خوف الشيطان من عمر .. فإنها ترجع أساسًا إلى الأمور التي يتنافر معها الشيطان وتحققت في عمر وأهمها كما جاء في الصحيح:

التوافق مع الحق:

لقول رسول الله ﷺ: (إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه) [٢]، وقوله: (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد .. فإن عمر ابن الخطاب منهم) [٣].

وقول عمر: (وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم .. وفي الحجاب .. وفي أسرى بدر) [٤].

---

(١) خوف الشيطان من عمر وإن كان له أسباب ، إلا أنه في الأصل قدر من الله ، لأن هذه الميزة لا يمكن أن تكون أصلا قدرة بشرية ، وهذه الميزة من الميزات التي اختص الله بكل ميزة منها أحد الصحابة ، مثل ميزة استيحاء الملائكة من عثمان ، والتي لم تكن لأبي بكر وعمر ، بدليل قول النبي ﷺ في عثمان: (ألا أستحي من رجل تستحي من الملائكة؟) رواه مسلم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢/٥٣) من طريق نافع بن أبي نعيم عن نافع عن ابن عمر.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في الفضائل (٧/٤٢١) عن أبي هريرة ومسلم في الفضائل رقم (٢٣٩٨) من حديث عائشة واللفظ له، قال ابن وهب: «محدثون: مُلْهَمُون».

(٤) متفق عليه: البخاري في الفضائل رقم (٧/٤٣) ومسلم رقم (٢٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري.

كمال الدين والعلم:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره. قالوا: فما أولته يا رسول الله ؟! قال: الدين)[1].

وقول رسول الله ﷺ: (بينا أنا نائم، ثم شربت -يعني اللبن- حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري -أو في أظفاري- ثم ناولت عمر، فقالوا: فما أولته ؟! .. قال: العلم)[2].

القوة:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا .. إِذْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ فَنَزَعَ ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ .. وَفِي نَزْعِه ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْباً .. فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ)[3].

وهذه الفضائل وإن كانت أصلا قدر خير تحقق من الله في عمر .. لكن الأخذ بأسبابها سيحقق قيمتها ..

فخوف الشيطان من عمر يعني أن يكون الحاكم المسلم من عباد الله المخلصين ..

والتوافق مع الحق يعني فقه الحاكم المسلم فقها كاملا ..

وتأصيل كل أعمال السلطة الإسلامية تأصيلا شرعيا تاما ..

وهكذا كل الفضائل العمرية ..

ويمثل هذا الراعي .. بمثله تماما .. بمثله فقط ..

لا ترعى الذئاب الغنم ..!

والحمد لله رب العالمين

---

(١) متفق عليه: البخاري في الفضائل رقم (٧/٤٣) ومسلم رقم (٢٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متفق عليه: البخاري في الفضائل (٧/٤٠) ومسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٣٩١) عن عمر رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: البخاري عن ابن عمر (٧/٤١) ومسلم عنه أيضاً (٢٣٩٣). أنزِعُ: أخرج منها الماء، الذَنوب: الدَلْو العظيمة، عَبْقَريُّ القوم: سَيِّدُهُم وكَبِيرُهم وقَويهم، والعبقري: الرجل القوي الفطن حاد الذكاء ذو الصفات الحميدة، يَفري فَرِيَه: يجيد العمل مثله، ضرب الناس بعَطَن: شربت إبلهم وشبعت حتى نامت مكانها وبركت لتعود للشرب مرة أخرى

الفهرس

الفصل الثالث

التصور القدري لقضية الشيطان

الفصل الرابع

فضل الله ورحمته

الفصل الخامس

قضية الشيطان ومنهج الدعوة